حسن فتح الباب

فارس الأمل

١٩٦٥

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة الأنجلو المصرية
١٦٥ شارع محمد فريد - القاهرة

مقدمة

بقلم محمد البخاري

أحمد لطفى

لم تكن خطوات الشاعر الشاب الأولى فى قلب الريف خطوات هادئة مرحة ، ولا كانت رحلته الطويلة وسط قرى مصر رحلة سائح مبهور ، بل كانت أبعد من كل ذلك تجربة فريدة غريبة وعميقة .

فالشاعر الشاب ابن العاصمة الكبيرة الصاخبة بأضوائها وعرباتها وإيقاعها المحموم ، عرف فى طفولته وصباه أزقة الأحياء الهرمة ، واجتاز فى شبابه شوارع المدينة الكبيرة ليصل إلى الجامعة .

تعلمه دراسة القانون منطق الدفاع عن الحق ، غير أنه يعين إثر تخرجه فى وظيفة معاون إدارة ، ولا تمضى الأعوام الأولى للثورة حتى تقرر الدولة إدماج معاونى الإدارة بضباط الشرطة . وفجأة يجد الشاعر المرهف الحس نفسه فى زى الشرطة الذى لم يذهب خياله فى الماضى إليه.

وفى هذا الزى المميز يخطو ابن المدينة خطواته الأولى فى الريف الذى لم يكن يعرفه إلا عبر الأقاصيص والصور والأحلام ، خطواته الأولى خطوات شوق ولهفة إلى غسل عينيه بجمال الخضرة الآسرة ، وإراحة صدره على وسادة السكون الحالم ، وإسعاد قلبه بلمسات الصدق والصفاء والنقاء التى تعبق بها أنفاس الفلاحين المصريين . ولم تكن يده هى الأخرى أقل شوقاً إلى أن تربت بحنان على مناكب المحزونين .

يدخل القرية وفى خياله صورة عالم سيكون عالمه الخاص الذى يحيل فيه أحلام العدالة إلى وقع جميل . وتتعثر خطواته الأولى مع إطلالة البيوت . الوجوه البسيطة تبدو ، ولكن عيونها تنظر إلى الأرض . وكلمات التحية تقال ، ولكن بسمة الود تغيض . ولم يعد الريف خضرة وسكوناً وضحكات صغار وصفاء قلوب ، بل أصبح سراً غامضاً مختفياً وراء الظلال . ورأى زى السلطة الذى يرتديه وقد استحال جدارا قائماً يفصل بينه وبين البشر الذين أتى ليعرف بينهم سعادة الحياة .

غاضت البسمة على شفاه شاعرنا الشاب وخفت فى أعماقه صوت ابن الرومى الشاعر الذى أحبه وهام بشعره واصطحب ديوانه فى رحلة الحياة . ومن خلف النافذة المعتمة بالليل يطل وحيداً :

وفى ظلال كل حائط ومئذنه
يواعد الرجال بعضهم ويلتقون
على حنين حائر حزين

وينقضى المساء ، فلا يخفف الصباح وحدته :

أخاف أن يجىء
وألف وجه ... ألف عين
تقول : ياغريب
لاتزحم الطريق بالخطا
يأيها الغريب

ذلك هو فى القرية غريب، فى زى غريب، مع أنه «الحاكم» ، بل لأنه الحاكم . الحاكم فى أعقاب عهد جعل مهمة الحراس سرقة الفقراء لحساب الأغنياء . عهد رجل الشرطة فيه هو تجسيد للحاكم الذى لم يكن بدوره إلا تجسيداً للأجنبى المحتل . عهد لم يكن الفلاحون يرون فى رجل الشرطة إلا هذا الماضى القاسى الرهيب ، ماضى اغتصاب الثمار وفرض الإتاوات واختطاف الأبناء والآباء لإرغامهم على أعمال السخرة فى مزارع العثمانيين والانجليز دون مقابل غير السياط تلهب الظهور ، ويكاد الشاعر يسمع حكايات الماضى من زفرات الفلاحين :

وكلما طلعت من حنية الطريق
تشير لى الأصابع النحيله
ويرتمى فى مسمعى النشيج كاللهيب
بلعنة الحراس سارقى الثمار

بدأ الشاعر يحس هنا عمق المأساة ، لا مأساته الخاصة ولا المأساة التى ورثتها القرية منذ كانت القرية محرومة من خيراتها ، بل مأساة الوطن كله . لقد علمته نظرات الفلاحين البسطاء أن ضابط الشرطة فى ذلك العهد لم يكن حاكم القرية وأن ملك مصر لم يكن حاكم مصر ، وأن الوطن كله كان يحيا فى ظل خديعة كبيرة ، وأن قطن مصر وتمر العراق وبترول الجزيرة كانت توضع كلها فى أطباق من ذهب يحملها عبيد متوجون من العرب إلى أوربا حيث السادة المستعمرون . وأخذ يتطلع إلى كل شىء بعيون جديدة ، فهذه القرية ما زالت تحمل آثار المأساة :

... طوفان من أقدام
جامدة جافية صفوف
وهؤلاء الفلاحون الذين يقلبون فى التراب باحثين عن جوهر كريم
فيبخل التراب
... لا يبخلون بالعيون .
هدية للأفق كى ينير
للأرض كى تدور
للنهر للأقدام كى تسير

يودع الشاعر مبكرا مرحلة الرومانسية ويستيقظ حسه الجماعى . لقد تلطخت أقدامه فى رواسب دماء الضحايا الذين سحقهم الإقطاع والظلم والجوع . وكان على ضابط الشرطة بوصفه ممثل حكومة الإقطاع أن يخفى آثار الجريمة وأن يغمض عينيه ويقيد الحادثة ضد « مجهول » ويتمزق وهو يرى كيف أقام أغنياء قرية سدا على الترعة ليظفروا بالسمك بينما يموت فقراء القرية الأخرى جوعاً ، ويموت معهم من يحاول أن يحدث ثغرة فى السد . ويتمرد رجل الشرطة الشاعر وإن كان يعلم أن انضمامه إلى صفوف الفقراء معناه أن الإقطاع الذى لم يكن قد لفظ أنفاسه بعد قد ينتقم منه بلا شفقة ، وقد يهدم مستقبله الغض ويهدم معه أحلامه فى العدالة والمساواة . وعرف الشاعر طريقه ، عرفه بحسه الإنسانى الصافى وبشفافية روحه . فطريقه هو طريق الجموع ، هو ربط مصيره بمصير الجماهير ، وإذابة مأساته فى مأساتهم ، وهكذا كان عليه

أن يدع روحه الصافية تطل من خلف زيه العسكرى لتلتقى فى عناق حقيقى مع أبناء الريف . وهكذا بدأ يهمس لهم أنه واحد منهم فى توسل صارخ نابض بالصدق والحب :

... لست بالغريب
أبى الذى مضى
ولم تشيع نعشه حشود
خطاه ماتزال بينكم على الطريق

وتضيع همسات الشاعر فى آذان الفلاحين مع تعلق عيونهم بإهابه الغريب، ومشية جواده تهيج ذكرياتهم عن الماضى الذى شهد مصرع الجدود فى سنابك الجياد . غير أنه يبدأ يغنى للسارين فى الظلام ويحرس الثمار للفقير ، فلا يعود رداؤه الغريب حاجزاً له عن الآخرين ، بل يصبح راية يتقدم بها الركب وهو يحمل الشمعة الوحيدة التى بقيت مضيئة وسط الليل ، ليل الصراع بين الماضى الكئيب والفجر الواعد :

قالوا من يحملها ، يشعلها
فى أعلى أسوار القلعه
لتنير لأقدم الفجر

وتقدم هو مبشراً بميلاد جديد ، ميلاد بشرية لا يحس فيها المواطن غربة وسط أهله ، ويفتح هو وأهله أذرعهم للقاء الشعوب الأخرى فى صداقة وحب يحطم ما بين الناس من حواجز وأسوار .

هكذا كانت تجربة الشاعر فى الريف تجربة فريدة وعميقة وغريبة ، بل مغايرة لتجارب كثير من قصاصينا وشعرائنا الشبان الذين ولدوا فى الريف ونشأوا بين هدوء طبيعته وبساطة أهله كما تنمو الأعواد الخضر فى التربة الطيبة ثم جاءوا إلى المدينة الواسعة فأحسوا أنهم فيها جذور مجتثة يثقلها الضياع والحنين إلى القرية الساكنة والرفقة الوادعة ، فقد ترك هو المدينة إلى الريف ليكتشف مأساة التخلف ، فهو وسطه داعية حضارة . . هو شعاع يحمل الوعى الجديد ويزداد وسط ظلمة الريف تألقا . . هو إيجابى فى معركته يحطم الأحكام المسبقة ضد رجال الشرطة ويربط روحه بأرواح الجموع . . . ويتحول إلى صاحب رسالة وفكرة .

ومن تجربة الريف تكون للشاعر موقف محدد من الحياة ومشاكل الإنسان ، وأصبح فناناً منتميا انتماء إنسانياً — لا مذهبيا — فيه وعى ورحابة وعمق وإيمان بالمثل العليا ، بالعدالة والاشتراكية .

ويحمل شعر فتح الباب ملامح الريف الصافية التى حولها الإقطاع إلى ظلال كابية ، ففيه رائحة حقوله ، وخرير مياهه ، وتكاد ترى بيادر حصاده ، وصفصافه الهرم ، والترع المخنوقة النغم ، وأكوام التراب التى يتوسدها الأطفال . وتكاد تسمع نايه الحزين ، ومواويله الرتيبة ، وحنة الأرغول فى المساء . وتعرف من خلال شعره وجه الفلاح المصرى بملامحه الظاهرة والباطنة ، بفنه الشعبى وخياله وأساطيره وحكاياه

الصغيرة وشاعرية حديثه الرقراقة الأصيلة . وترى صبره وتوكاه ومطاردته للرزق خلال الأمواج ووسط شقوق الأرض ، وتساند الفلاحين وتعاطفهم

وإذا كان حسن فتح الباب فى لوحاته الشعرية يصور الطبيعة الجميلة المحيطة بالإنسان ، فإننا نرى هذه الطبيعة فى خلفية الصورة . إنه لايحلم أمام جمالها ولايسترخى أو يشرد فى الخيال ، بل يتأملها متعجلا لأن مشاكل الإنسان الذى يعانى القهر والاستغلال فى كثير من بقاع العالم هى التى تستقطب جميع مشاعره .

وتظل نظرة الشاعر التى اكتسبها فى الريف هى العدسة التى ينظر من خلالها المدينة بعد عودته ، فهى عنده حلم الفلاحين ، هى منبع الحنان تضج بالحياة والقوة حين تلتقى فيها كف الغريب بالغريب ، هى المهجر الحانى الذى تلجأ الطيور إلى شتائه الضحوك .

وإذا كانت القرية قد نمت فى الشاعر حسا اشتراكيا يبرز بكل حدته حين يرى التفاوت بين حياة المدينة والقرية ، فقد تزايد هـــذا الحس فى المدينة وبدأت عينه تتوقف خلال شوارع المدينة وقفات تأمل طويلة وعميقة عند نفس النماذج البشرية التى كان يراها فى الريف مثقلة بالفقر والحزن والمأساة مع أنها نماذج إيجابية تقدم من نفسها الكثير للآخرين . وكما رنا فى القرية إلى المقرىء الصغير وإلى شعبان الصياد المغنى ، نجده يرنو فى المدينة إلى الصبى الأسمر الذى يبيع للعشاق عقود الفل ثم بائع اليانصيب الضرير الذى يدق بعكازه طرقات المدينة

المبهورة الأنفاس فلا تقع عليه عين ولا ينحنى عليه شعاع . وتثبت عيناه طويلا على الشيخ حامل القيثار الذى يمضى كطائر من عالم مهجور ، جناحه سحابة بيضاء فوق تل نار ، يؤنس الناعمين بنغم أوتار قيثارته ، حتى إذا أخذوا يتبينون مصدر النغم فوجئوا بمشهد العازف الفقير بالباب وفزعوا من أن تشوه صورته الرثة جوهم الحالم ، فإذا بأيديهم تمتد تغلق الباب وشفاههم تتمتم : « اللحن أصفى من بعيد » !

هكذا يلتفت الشاعر إلى هؤلاء المحرومين الذين لا تلتفت إليهم الحياة، إلى الصبى النحيل المهزول الذى يحمل عقود الفل والدخان يحجب قلبه عن أن يشم رائحة العبير . . إلى الضرير الذى فقد نور عينيه ولم يعد يشى بوجوده إلا دقات عكازه . . إلى حامل الأنغام المشرقة على جسد محطم . ولكنه لا يقف عند حد الالتفات إليهم والإشفاق عليهم بل إنه يربط نفسه بمصير المضطهدين جميعاً حتى ينبض شعره دائماً بالثورة على الليل والغربان والغيوم والنداء المتكرر للشمس والفجر والنهار والربيع.

ويتسع ميدان المعركة ليشمل عالمنا العربى فيخفق قلبه مع زفرات شهداء الجزائر وثوار عمان ومع انتفاضات أحرار العراق ويلتاع حين ترنو عيناه إلى فلسطين السليبة بهذه الترنيمة الحزينة الغضوب :

يا وطنى والعالم يستبق بكل مدار
ويجوب الإنسان الأقمار
لم ترعى واديك الظلمات

ولكن العالم يصبح وطنه الأكبر فيبكي مأساة التجارب الذرية التي تغتال صيادي اليابان ، ويصبح الدفاع عن سلام العالم وصداقته هدفه الأكبر ، وينبض شعره بالفرحة حين ينعقد مؤتمر القاهرة فتصبح مدينته ملتقى شعوب العالم المقبلة من قمم الجبال — من مشارق الوديان

مواكب ، مجامع ، حشود
تشيد فى مدينتى جسر انتصار

إن هذا الجسر الذى تتلاق عبره البشرية لتبنى غدها المشرق هو نفس الجسر الذى أقامه الشاعر بين ذاته وبين الجموع ليشارك دفع المأساة العامة عن الجموع منذ علمته تجربة الريف القاسية أن تحطيم الجدران بين الأفراد هو طريق الخلاص من المآسى الذاتية .

وليس معنى هذا انطفاء مأساة الشاعر الذاتيه ، بل إنه يكاد يحس — ككل شاعر منتم — أزمة عاصفة تنبع من ثقل إحساسه بمآسى الآخرين مجتمعة ، من انطواء نفسه على أحلام أكبر من طاقاته الجسدية ومن ظروف حياته . وشاعرنا لا يضم جوانحه على مأساة الوجود والعدم وغموض الكون وأسراره والخوف من الشر الغامض ، وإنما مأساة الإنسان الذى يبشر بعالم جديد يقوم وحده بعبء دعوة كبرى ويتعجل الانتصار فتهده صرخاته ويذوى منه الجسد . ويحس انطفاء الحياة فى نفسه فيهمس لأصدقائه الذين يحتضنونه ويتغنون بشعره حتى لا يحزنوا إن عاجلهم الموت قبل أن يروا المستقبل الذى شاركوا فى بنائه :

وإذا ما انتفضت فى الغد
أنهار سلام للبشريه
وانهارت أحزان الشعب
فليذكرنى عشاق الحريه
ولتغمرنى قطرة حب

وهذا الذوبان الحقيقى فى أعماق الآخرين لم يبرز المرأة عنصراً مأساوياً فى شعر حسن فتح الباب ، بل هى فيه إحدى عناصر اللقاء الحقيق . هى جزء متميز من الجموع واع برسالته ، هى شريكة نضال ، هى الزوجة والأم ، هى البيت الحقيق والأسرة الصغيره التى تتنفس بأنفاس الأسرة الإنسانية الكبرى . نلتق بها أول ما نلتق بها فى ديوان الشاعر وهو يحكى لها « حكاية الصبا » ويضمها إلىصفوف الجموع التى تتعجل خطى الفجر .

ثم نلتق ثانية بالمرأة أغنية حزينة فى غيابها حيث يختفى مهد الوليد ويكتئب عش الحب وتنكمش الوسائد بجانب الجدران وينطفىء النور وتذبل الورود ويغيم النهار ويتجمد النهر . فالمرأة فى شعره هى النور والدفء ، هى العمل والراحة ، هى التى تبرز كفاها ما فى أعماق الطبيعة من جمال ، وهى الرفيق الضرورى فى رحلة الحياة والذى تستحيل الحياة بدونه إلى درب طويل من الأشواك .

كما نلتقى بها فى قصيدة الخوف أما تقدم ابنها للوطن وتأوى فى صبر مستسلمة للقضاء .

ونلتقى بها فى قصيدة غيمة الخريف زوجة يهمس لها بمأساة بعد أن انتصف الليل ونام طفلاه :

فى سمائنا الضحوك يا حبيبتى
يحوم الخريف بالغربان
وترتقى شرفتنا عيون

لكنه يطمئنها باقتراب الشمس التى ستشق غيمة الخريف :

حبيبتى هل تسمعين
أغرودة الكنار فى القمم
وصيحة الغربان والعيون
تهوى إلى قاع العدم
حبيبتى لتنعمى مساء
سيشرق الصباح بعد حين

وتظل هذه البشارة تتكرر عبر قصائد الديوان : البشارة بالشمس والربيع وبميلاد الإنسان الجديد . الإنسان الذى يمسك بيده مصيره ويقهر المجهول ويسبح وسط الأقمار جباراً رائعاً بمعرفته العلمية وقدراته التكنولوجية فوق الأرض التى استحالت إلى عالم واحد اتحدت فيه

منابع الأنهـــار وتحطمت منه الأسوار واشتبكت فيه السواعد والقـلوب .

هذا الإنسان الجديد الذى سيقبل يوما فوق جواد المغرب :
فى غبش الفجر — فيهز المشرق — خطوته مجلى النور — نظرته سهم مسحور — جبهته إكليل الشوك — إنسان عملاق يخضب عينيه الدم —ويغمغم فى حلم — طوبى للإنسان العانى — يخرج من قاع الأحزان — فى يده شمعـه — يوقدها رغم الريح— لتنير لأقدام الفجر — ولتصهر صدأ الأصفاد — فى ليلة عيد الميلاد .

ولـكنه ما يـكاد يحطم القيود والأسوار ويقيم الفجر على وجه الأرض حتى ينطلق إلى الفضاء:

طيرا حط على شجر الغيب
يستشرف وجه الأرض الأم

فيراها وقد استحالت فى عينيه إلى قلب إنسانى كبير جواب يتهدج، وتلاشى أمامه الزمن والقيود والأبعاد . ويرى الإنسان وقد اتحد فى قلب واحد برغم تشتت الأوطان ، واقتلع الأسوار والأحقاد والعنصرية، وركز أعلام الحرية فى عالم إنسانى لا يعرف العبودية .

وهكذا يفرح الشاعر بانطلاقة الإنسان عبر الفضاء ويرى فى رحلة رائد الفضاء الأول بداية عصر الإنسانية الجديد الذى ظل يحلم ويبشر

به ، عصر العلم والحـــرية وتعانق الشعوب فى عـالم نابض بالحب والإخاء .

* * *

وحينما تجرى عيوننا خلال التـكوينات الشعرية التى يضمها هذا الديوان نجد أنفسنا أمام نموذج حقيق وأصيل للشعر الجديد .

واذا تذكرنا أن حسن فتح الباب قد بدأ حياته الفنية شاعراً عمودياً قديما يزخر شعره بالعبارة العربية الرصينة القديمة ولا يسلم من الخطابية ، عرفنا عمق المعركة التى خاضها ليصل إلى هذا الشكل الجديد المتميز بالهمس والبساطة وإن بقى زاخرا مع ذلك برصانة العبارة القديمة بعد أن أكسبها صفاء ورقة جديدتين . وقد كانت صلته القوية بالشعر العربى القديم هى التى كشفت له الـكثير من أسرار اللغة ، وأمدته بهذا الثراء اللفظى الـكبير ، وجعلت اللغة طيعة فى يده .

ويتميز البناء الشعرى فى قصائد فتح الباب بقسمات واضحة . فالبناء عنده دائماً بناء درامى فيه تفاعل وحركة ونبض ، يأخذ طابع الملحمة العاصفة ، أو القصة القصيرة الوادعة ، ويزخر بالحوار وبالترديدات ، وتقطيع المشاهد أو المزج الانتقالى فيما بينها — إذا استعرنا لغة سينمائية فى الحديث عن الشعر :

تبدأ قصيدة فتح الباب بشحنة درامية مركزة، تشيع التوتر والإيحاء،

وتتخطى باهتزازاتها الموسيقية مجال الفكر لتلمس الأعماق ، على نحو ما نراه فى قصيدته « دم على البحيرة » :

لا تهبط أدنى الجسر — لاتهبط — ما أشتى صيادا ألقى شبكه — فى بركة دم — وتولى والصيد وفير — لكن الشبكة تنزف دم

بهذه الصرخة الملتاعة المتموجة التى تتعدد فيها الأنغام وتتداخل كما تتداخل أمواج النهر ، وتتصارع الأسماك مع الشباك ، والموت مع الحياة والقدر مع الكفاح ، نحس المأساة كلها ، مأساة غائمة لا تلبث القصيدة أن تبدأ تبسط أحداثها بإيجاز شعرى ؛ بلقطات كاميرا سريعة لاهثة خلف إنسان صياد لم يطعم زادا فى يومه أو يخل إلى أولاده ، ولم تقف الظلمة بينه وبين الاندفاع فوق الماء ساربا وراء السمك الهارب .. حتى إذا اقتربنا من الصورة لم نجـــد فى القارب غير أشلاء عظام ويقع دماء .. وعصفت الموسيقى بنواح الريح وعواء النساء على الشاطىء

وتنتقل « الكاميرا » الشاعرية فجأة من وجوه النساء وتستقر — بعد ضيعة صيحة متولى وسط الريح والظلام — على وجوه الرجال وقد غاصوا تحت الجسر . ويصعد الشاعر إلى قمة المأساة حين يعلن فى تمزق :

لكن الصيد يحرمه جيران القريه
أدنى الجسر

لقد حشد الشاعر عناصر المأساة حشدا يشيع التوتر والقلق ، وتكاد أنفاس القارىء تتمزق وهو يتلهف على معرفة مصير هذا اللقاء المحموم

بين جثة الرفيق القتيل ،والأمهات النائحات ، وأبناء القرية الذين يتحدون الموت ويغوصون إلى الأعماق لينتزعوا رزقهم ، وجيران القرية الذين يترصدون بالموت هؤلاء الصيادين .

ويلجأ شاعرنا إلى نهج المسرح الإغريقي القديم الذى يحرص على إخفاء الأحداث الهائلة البشعة وإبعادها عن خشبة المسرح ، ثم يحكيها بعد وقوعها على لسان ملتاع . بل ويحكى هو بدلا من الذين شهدوا المعركة فخرجوا منها وقد أعجزهم الصمت وثقل عليهم الأسى .

ويظل يثير فى نفوسنا الأسى على نمط الشاعر المسرحى الإغريقى فيذكرنا بهؤلاء الذين مضوا وحماقة المعركة التى راحوا ضحاياها :

كانوا يغشون غمار الموج — من أجل رغيف — لم يحكوا إلا عن أطفال غرقوا — صرعى الآباء — وجدود غرماء فى الصيد غرسوا أحقاد الأبناء

هكذا مضى « متولى » صريع الحقد الأعمى والأنانية والجشع ، كما ذهب رفاق آخرون لم يكونوا يعملون ويكدون بالمجداف على سطح الماء إلا لكى يطيلوا حبال العيش وينتزعوا من فم النهر لقمة لصغارهم ، ذهبوا لأن جيران القرية الأغنياء كانوا يحيلون ريف مصر بقوة سلاحهم إلى غابة يسود فيها الوحوش .

لكن دم هؤلاء الضحايا تشربته تربة الريف المصرى ثم نبتت

منها أسطورة تحكى عن ماض لم يبق منه إلا حكاياه ، وأسماء ضحاياه محفورة فى ذاكرة الأبناء الذين أشرقت عليهم شمس الحب :

مازال على درب القرية صوت يأتى
من جنبات النهر
يعرفه أولاد الصيادين
ما زالت صيحة « متولى » عبر الأمواج :
لا تهبط . أدنى الجسر
لا تهـــبط .

بهذه الشاعرية الرقراقة استطاع حسن فتح الباب أن يشكل أسطورة مصرية من عناصر الريف الأصيل ، من البركة والجسر والنهر والشباك والقارب والمجداف والصيادين وصراعهم وأحزانهم وظلمة القرية ونواح الريف . كما اختار لبطله اسما اسطوريا أيضا هو « متولى » بكل ما يحمل من شحنات إيحائية حيث يعنى الراحل كما يشير إلى الولى الشهير « سيدى المتولى » . ثم إنه أطلق الصرخة أولا على لسان متولى محذرا وحاكيا ثم يفاجئنا بأن متولى هو نفسه القتيل ، فنحس عودة الروح التى يؤمن بها الريفيون وترددها على مكان القتيل ومحادثتها للمارة . ونحس وفاء أهل الريف لموتاهم ، وحديثهم عنهم الطويل المتكرر فى الليل ، وبقاء ذكراهم محفورة فى قلوبهم ، بل إن عيونهم لتظل ترى صورة بقعة الدم الكبيرة على وجه الماء ، كما تظل أسماءهم أسيرة هذا اللحن الحزين :

ما أشق صياداً ألقى شبكه
فى بركة دم
وتولى والصيد وفير
لكن الشبكة تنزف دم

وإذا كنا قد اخترنا هذه القصيدة فلأنها تتضمن أكبر قسمات البناء الشعرى فى شعر فتح الباب : هذه البدايه المتوترة وهذا النسيج الدرامى المشدود على نمط سينمائى أحيانا تتقطع فيه المشاهد وتتداخل كما تتعدد فيه الأنغام الموسيقية وتتعانق أو تتمايز وتتكرر منفردة ، وترتقى فيها الشحنة الدرامية على نمط مسرحى حتى تبلغ الذروة ثم تعود تفرغ شحناتها فى جو نفسى هادىء ، وإن اختتمت دائما تقريبا بهذه الخاتمة المشرقة العاصفة كنهاية السيمفونية الكلاسيكية . فنحن نرى أكثر قصائد هذه المجموعة تمضى على هذا النسق وتتلون بنفس القسمات ، وإن تكن رائعتا الديوان : « ضابط فى القرية » و « الصياد اليابانى » هما اللتان تمثلان أعظم تمثيل ذلك البناء الملحمى الشامخ العملاق .

وملحمة حسن فتح الباب ملحمة يظهر فيها طابع العصر واضحاً كما ترتبط بالطابع الأسطورى العصرى وبموقفه كشاعر ملتزم من القضايا الإنسانية .

وهو فى قصيدة « ضابط فى القرية » يعرض مأساة ذاتيــة معاصرة لا نلبث أن نحس أنها تخفى فى أعماقها مأساة قديمة هى مأساة الوطن كله

وتكشف عن صراع غائر فى قلب الشعب المصرى . وإذا بنا نقرأ فصلا من تاريخ النضال المصرى ضد قوى الاستعمار والاحتلال وعن وسائل هذا النضال وعن الهدايا التى تقدم مغلفة بالصمت منطوية بذلك على إذلال صامت وعقاب نفسى عاصف القسوة . وتتبين صورة البطل الأسطورى فى الملحمة فى أنفاس ذلك الشعب المصرى الصامد فى مقاومة شاملة دائمة .

على أن القدرة على المزج بين البطل والشعب تتجلى فى صورة « فارس الأمل » فهو يقهر الطغاة بسواعد شعبه ويتوسط الصامدين فوق الجبل ، ومع هذا يتغنون به بطلا أسطوريا يراود أحلام الأجداد منذ القدم . وقد كان ظهوره وانتزاعه القناة من أيدى الدخلاء وتحريره أرض مصر من الاحتلال الأجنبى هو سر الطمأنينة التى خيمت على ريف مصر وجعلت أهله ينعمون بالعمل فى النهار وبلقاء الأحباب بالليل :

وينشقون طيب العبير من ندى الحقول
وفى المساء حين يرجعون
يكاد خطوهم يذوب من حنين
لضمة البنات والبنين
وينشد الأرغول :
يا ليل طابت سهرة الصحاب

والصفو عاد لليالى .. والقمر
يسيل فى بيادر الحصاد
يارائحين بلغوا السلام
للصاعدين يرقبون مطلع الشروق
على ذوائب الجبل
والصامدين حول فارس الأمل

ويمزج الشاعر فى قصيدة « الصياد اليابانى » بين مأساة شهيد التجارب الذرية الأمريكية وبين الإنسان المناضل فى سبيل السلام وتخليص البشرية من ويلات الحروب — بين الشهيد والبطل — ويلجأ إلى التكرار والترديد الذى يخلق جواً تأثيرياً غريبا :

الليل خيمت ظلاله ولم يعد
وعاد كل غائب لأهله ولم يعد
وغلق الجيران بابهم ولم يعد

وتحس زوجته وأطفاله الفراغ الهائل الذى خلفه :

ثيابه على الصوان ما تزال
شباكه على الجدار ما تزال
وطيب نظرته .. فى أعين الصغار ما زال

ويصور لنا الشاعر معركة الصياد مع الموت :

ويلاه ذاب شعره ولم يمت
وغاض ماء وجهه ولم يمت
وأطفئت عيونه ولم يمت

وكما نجد هنا سمة تقطيع المشاهد نجد فى قصائده الأخرى سمة المزج بينها على الأسلوب السينمائى ، وذلك باختيار عنصر مشترك بين مشهدين ينتهى به أحدها ويبدأ به الآخر . وقد اتخذ الشاعر من الشمعة عنصراً يمزج بين حالتين وجدانيتين مختلفتين وإن أفضت الأولى إلى الثانية وحركت ظهورها هما : حالة الحزن الذى يشيع فى القلب ويطفىء شموعه ، وحالة التمرد على الحزن ودخول معركة الحياة حين اجتمع الرفقاء فى « ليلة عيد الميلاد » :

واجتاحتهم ذكرى الأحزان — وجداً أسرج كل دموع الويل — أطفأ كل شموع الليل — أطفأها لم يبق سوى شمعه — بين حنايا الصدر — قالوا : « من يحملها ، يشعلها لتنير لأقدام الفجر »

لقد استطاع التكوين الشعرى عند حسن فتح الباب أن يشى لنا إلى جانب تأثره بالسينما والمسرح بتأثره كذلك بمختلف المذاهب الفية ، فكثيراً ما نراه يصور المواقف الواقعية بريشة سريالية أو تأثرية أو رومانسية . ولنر هذه الصورة السيريالية الرائعة للقرية فى قصيدة « المقرىء

الصغير » المتمثلة فى هذه الصفوف المـديدة من الأقدام المشدودة التى تحجب الوجوه ، والسواعد الشداد المغروسة كالرماح فى الطين والرمال والوجه الـكليل الذى يومض بلا عيون . ثم لنعش طويلا مـع الصور الرومانسية الحالمة المنتشرة عبر قصيدة رائد الفضاء ، هذا الطائر الذى حط على شجر الغيب . ومع ذلك فهى لا تعـين كلها إلا على رسم الصورة الواقعية فى تصوير شعرى رائع .

على أن هذه المجموعة من الشعر الجديد تتميز بمحافظة كبيرة على استخدام العبارة العربية الجزلة القوية التى تعنى باختيار اللفظ اختيـارا فيه جهد ومعاناة . ثم إن الديوان كذلك يحافظ على تماثل الوزن فى أغلب أبيات قصائد المجموعة لا نحس جنوحه عنه إلا حيث تتطلب الضرورة الدرامية أن تمزق الشحنة بجمل قصيرة تعـين على إبراز التوتر أو على التخفيف من حدته . ونحن نرى ذلك فى جمله القصيرة المعبرة النابضة:

إن تخلف أشواك الحقدالهاوى — بعض جراح — لا ضير —
فلتبق عذابات الرحله — تذكاراً للإنسان الصاعد

كما أننا نلحظ اهتماما كبيراً من الشاعر بالقافية وحرصا على تماثلها مع تنويعها خلال عملية التشكيل الموسيقى التى تعنى بتدفق موسيقى الألفاظ حتى تنبض داخل القصيدة فى تواكب مع إيقاع الوزن الشعرى .

وتتميز التجربة الشعورية الذاتية عندفتح الباب بتمثل المآسى المعاصرة

ويتضح خـلال تفاعلات فكرية وثقافية هائلة ، وبطريقة فى التناول والصياغة تتأثر بالأشكال الفنية الجـــديدة فى مجالات السينما والمسرح والفنون التشكيلية ، وهى الملامح التى جعلت من الشعر الجديد فنـاً معاصراً يواكب الحياة فى تطورها ، وأفرغت فيه روحاً جـديدة كان الجمود قد أصابها بعد تألق الثورة الصناعية . لقد أصبح الشعر الجديد فناً تتحد داخله جميع الفنون الأخرى كما تتوهج خلاله ومضات العلم والفلسفة الحديثة ، وهذا ما جعله يملك أكثر من أى فن آخر قدرة اقتحام الغيب والسفر إلى الغد وفتح مجالات أخصب لتطلع البشرية إلى المستقبل . وهى الميزة التى تجعل من الشعراء الأصلاء رواداً يبشرون البشرية كلها بمستقبل واقعه أروع من أحلام اليوم .

والواقع أن هذه المجموعة من الشعر الجديد تعكس أكثر ما تعكس الإحساس بأزمة التخلف وبأزمة التفاوت الاجتماعى لا فى نطاق الوطن بل فى نطاق العالم كله . وقد استطاع الشاعر أن يدرك بعمق ثقافته أن مأساة انقسام البشر إلى أثرياء وفقراء وانقسام الدول إلى دول متقدمة ودول متخلفة هى العصب الرئيسى الذى تتفرع منه جميع مآسى الإنسان المعاصر . وهكذا كانت صرخته المترددة دائماً من أجل العدالة ومن أجل التضامن الإنسانى .

ولا شك أن التجربة القاسية التى خاضها ضابط الشرطة الشاعر وسط الريف المصرى الزاخر بالأصالة والأسطورية ، بالصفاء الإنسانى

والوطنية الحقيقية وإنكار الذات هى التى ربطت حسن فتح الباب بالناس والحياة والتقدم ، وهى التى جعلته يتفرد بين الشعراء العرب الجدد بهذا الحس الاشتراكى الذى جعله يتمرد على أشكال التفاوت الاجتماعى ويلتزم قضية العدالة الاشتراكية عن إيمان ووعى حقيقيين منذ بدأ يكتب الشعر الجديد .

وسنحس فى رحلتنا عبر هذه المجموعة حرارة أنفاس العناة والمعذبين والمحرومين ، وسنسمع صرخات الأبطال والمتمردين . لكننا سنلمس دائما نبضة الحب الإنسانى والدعوة إلى اللقاء بين البشر ، وحرارة هذا اللقاء ، حتى اللقاء السريع العابر بين البمبوطية — تجار الميناء الجائلين — وبين عابرى القناة .

وستخفق قلوبنا مع ندائه المتكرر :

تعانقوا ما أجمل الحياه — فى لحظة تضم عاشقين — بلا زمن — وحفقة تشد طائرين — بلا وطن — تعانقوا فى رحلة المصير — وواجهوا القدر — بلا أسى — بلا هوان — بلا ندم — بلا دموع .

فارس الأمل

[تحية إلى الرئيس جمال عبد الناصر
رائد الاشتراكية العربية]

أَنْفَاسُهُمْ مَشْبُوبَةُ الحنينِ ساعةَ السَّحَرْ
والشَّمْسُ تَغْمُرُ العيُونَ والشَّجَر
وتَنْضَحُ الجِباهَ بالعَرَقْ
لا يَعْرِفُونَ زِينةَ المُدُنْ



ويَنْشقُون طَيِّبَ العَبيرِ مِن نَدَى الحُقُول
وفى المَساءِ حِينَ يَرْجعُون
يَكادُ خَطْوُهُم يَذُوبُ مِن حَنِين
لِضَمَّـةِ البَنَـاتِ والبَنِـين
ويُنْشِدُ الأُرْغُول :
« يا لَيْلُ طابتْ سَهْرَةُ الصِّحَاب
والشَّمْلُ ضَمَّ الأهْلَ والأحْباب
والصَّفْوُ عاد لِلَّيـالِى . . والقمَر
يَسِيلُ فى بيَـادِرِ الحَصَاد
يا رائِحِينَ بَلِّغُـوا السَّلام
لِلصَّاعِدِينَ يَرْقبُونَ مَطْلَعَ الشُّرُوق
عَلَى ذوائِبِ الجَبَل
والصَّامِدِينَ حَوْلَ فارسِ الأَمَـل
والعَائِدِينَ تحْتَ رايةِ السَّلام

يا طِيبَ زَهْرَة السَّلام »
وغَرَّدَ المَوَّالُ فَوْقَ مَوْجَةِ القُلوُب :
« يا ناصِــرَ العُنَـاهْ
يا قاهِرَ الطُّغَاةِ بالسَّـواعدِ الشِّـدادْ
تَفَجَّرَتْ مِن شَعْبِكَ المَجيد
النَّهْرُ باسْمِكَ الحَبيبِ فاضَ للجُمُوع
وَرَسْمُكَ الوَضيءُ في الدِّيارِ عَوْدَةُ الرَّبيع
يا حُلْمَ الأجْــدَادِ مِنْ قِـدَم
يا واهِبَ الحَيَاةِ للقَنَــاهْ
تَفْـديكَ أُمَّــةُ العَـرَب
يا ثائِراً مِن هُوَّةِ الضياعِ للعَرَب
يَرُودُ قِمَّـةَ الصِّراعِ للحَيَـاه
يا مِشْعَلَ النِّضالِ للأَبْطَـال
يا فارِسَ الأمَـل »

فارس الشمال

[تحية للبطل العربي في مؤتمر باندونغ]

يا زَهْرَةَ الجَبَلْ
يا قُبْــلَةَ النَّــدَى عَلَى الوُرودْ
بَنْدُونْجُ يا أَميرة عَلَى الجُزُر
وَرفَّتَ الأَصْداءُ في التِّـلال :

بَنْدُنْجْ . . بَنْدُنْجْ

يا زَهْـرَةَ الجَبَـل

متَى يَهِـلُّ مَوكِبُ الرِّفاقْ

وَتلتقِي القُـلوبُ في عِنَـاقْ

بَنْدُنْجْ عيدُ الحُبِّ لِلْبَشَر

بَنْدُنْجْ ميلادُ انتِصَار

وفِي سَمَائِكِ الضَّحُوكِ غَرَّدَتْ

حَمائِمٌ بَيْضاء

وحَطَّمَتْ أغْلالَها العَبِيدُ

في طَـرِيقِ عَـوْدَتِك

لن تَشْـتَرى عَمالِقَـه

في قَلْبِ آسيا

في دُجَى إفريقيا

تمرَّدتْ كتائبٌ ، وحطَّمتْ قِلاع
هبَّتْ شعُوبٌ في السِّلاح لا تَضِلّ
يَنْدُبُجُ أعْراسُ الدِّماءِ تقْطفُ الحيَاه
يَنْدُبُجُ وَرْدَةٌ عَلَى الجنُوبِ لم تزَلْ
تُضَاحِكُ العيُونَ بالأمَـل
فينْحَنِي الإعصارُ للجِباه
وتَصْعَدُ الجُمُوع في الوِهَاد والسُّفُوح
لِتَمْـلكَ القِمَم
وتَحْجُبَ الأحْزانَ عن عيُون أمَّهات
للشَّمْسِ ، للأطفَال تبْتَسِم
.. وكَلَّلَتْ أنامِلُ الصِّغَارِ هَامَةَ البَطَل ::

« يا فارسَ الشّمال
يا طَلْعَةً سَمْراءَ في مَسْرَى النُّجُوم
وميضُها عيُـون شَعْبِكَ العَظِـيم
رَمَى بنـا الحَنينُ لِلِّقَـاء
بَيْنَ أَغانِي الغَـابِ والبِحَار
مَتَى نَشُمُّ نَفْحَةَ الحُقُـول
ونَرْتَوِي مِنْ نَهْرِكَ القَـدِيم »
وَرَفَّت الأَصْداءُ في التِّلالْ :
الشَّمسُ حُرَّةُ الشُّعاع
والرِّيحُ تَدْفَعُ الشِّراع
وأَنتَ أَنتَ شَعْبُكَ العَظِـيم
يا فارسَ الشَّمـــال

أغنية العصفور الأزرق

الأُفْقُ غَمَــامَاتُ بَنَفْسَجْ
وشِراعٌ فى المَوْجِ يُصَــفِّق
وضُـلوعٌ ضَـاوِيَةٌ تَخْفِــق
شَدْوًا لِلعُصْفُور الأَزْرَق

* * *

لا تَبْعـدْ ، فالأَيْكُ وَرِيفُ
والشَّطُّ عُيُـونٌ وقُطُوفُ
وشِفاهٌ بالحُبِّ تُرَقْـرِق
أَلْحانَ العُصْفُورِ الأَزْرَق

* * *

غَرِّدْ فى أَرْضِ المَـوَّالِ
لِلْحُرِّيَّةِ ، للأَبْطالِ
غَرِّدْ ، فالشَّمْسُ غَدًا تُـشْرِق
ويُغَـنِّى العُصْفُـورُ الأَزْرَق

* * *

الأَيْدِى السَّمْراءُ تَلاقَـتْ
وقُلوبُ الأَحْبابِ تَنـادَتْ
تَدْعُو ، تَدْعُـوكَ ، تُحَـيِّى

بِهُتافِ العُصْفُورِ الأَزْرَق

* * *

عُشُّكَ آفاقُ البَرِّيَّهْ

صَوْتُكَ أَجراسُ الحُرِّيَّهْ

تَشْدُو لِلإنسانِ الصَّاعِد

أَشْواقَ العُصْفُورِ الأَزْرَق

* * *

آلافٌ ، آلافٌ تَسْرِى

عَبْرَ الصَّحْراءِ إِلَى الفَجْرِ

وجَناحُكَ فى اللَّيْلِ يَرِفُّ

بِحَنِينِ العُصْفُورِ الأَزْرَق

* * *

يا أَمَـلَ العـانِى فى البَيْدَر
والشَّاجِى فى اللَّيْـلِ المُقْمِر
يا رُؤْيا عاَلَمِنا رَقْـرِق
أُغْنِيَـةَ العُصْفُورِ الأَزْرق

أغنية

للسد العالي

كُلَّ صَبَاحٍ بَيْنَ طُلُوعِ الفَجْر
وَرفيفِ الطَّيرِ عَلَى وَجْهِ النهر
تنتظِرُ الشمسُ عَلَى مَوْعِد
لُقيا عُشَّاقٍ عِنْدَ السَّد

يبنُون لهـا مِن حبّــاتِ القَلْب
صَرْحاً لا تَبْرَحُــهُ أَبدَ الدَّهْر
الأَيْــدِى السَّمــراءُ يُعانِقها
وَهَجُ الشَّمْسِ عَلَى الطَّمْىِ الأَحْمر
مُحْتَشِداتٍ تَصْعَدُ شَـلّالات
تَهـوِى دُوّاماتٍ ، تَطـوِى الصَّخْـر
تُطلِـع أَمْواجَ حيــاةٍ تُولد
فى قُدْسِ الأَقْداسِ ، إلهِ الغـد
والخِصْبُ عَطِيَّـةُ أوزوريس
مُنذُ الهَرَمِ الأَكبرِ حتّى السَّد
وتَدُقّ عَلى شَدْو المِزمار
وحنينِ الخَيلِ العَرَبِيَّه

والنِّيلُ يُرَدِّدُ أُغْنِيَّه

تَتَرقْرقُ : لا تحزنْ إيزيس

أَحْمُسُ عــاد اليومَ فلبَّى

صيحتَهُ جيلٌ تحتَ الأَعلام

يحمِلُ — منْصورًا — قُربانَ سَلام

خُبْزًا لَمْ يُمْزجْ بدماءِ الثَّأر

وتَفيضُ عَلَى الوادِى الأَصْداء

دافقةً دافئةً خضراء

من خفَقاتِ الأيدى السَّمْراء

تتعانقُ تتناجى عَهْدًا :

لا يَهْدأُ تَعَبٌ تَحْتَ الشَّمس

لا يَهْدأُ ، أَبداً لا يَهْدَا

حتى نَسحَقَ أَغلالَ الامْس

ونَشُدَّ شعُاعاتِ الفَجْرِ

نَنسجُها وَمضاتٍ كالحُلم

فى أَجْفانِ صَغيرٍ يَبْسِم

والوجَناتُ قلوبٌ تخفِق

نَنسجُها ضَحِكاتٍ تتدفَّق

فى أَعيُنِ من يَحَيَي يومَه

يُوقِدُ فى اللَّيلِ الشَّاتِى شعُْلَه

بُشْرَى للسَّارينَ عَلَى الظُّلْمَه

يَتَغَنَّوْن بموَّالِ الصَّبْر

فى أَعْيُنِ من يأتِى فى الغَد

يعبرُ شرْقَ النِّيلِ إِلى الغَرب

فوقَ السَّـدِّ العـالى تحتَ الشَّمس

فى مـوجٍ جيَّـاشِ الفيَضان
طامٍ عاتٍ بَيْنَ الشُّطْـآن
مُترامٍ مِنْ أَقدامِ الشَّعْب
يتغَنَّى بالمَجْدِ لأَحْمُس

العودة..

[من وحى الرحلة إلى السد العالى
لضباط معهد الدراسات العليا للشرطة]

لَمْ نَفْتَرِقْ
لَكِنَّنا حينَ الْتَقَيْنا فى المَساء
تناثَرَتْ قلُوبنا على الطَّرِيق
تَطَايَرَتْ مع الرِّيَاح

ولَمْ تَفِضْ عَيْنانِ بالبُكاء
حُزناً على فِراقِها المَرير
وسَلْوَةً مِنَ الجِراح
لمَّا هوَتْ ضُلوعُنا مُمزَّقَهْ
واصَّاعَدَتْ أَنفاسُنا مُخْتَنِقَهْ
كانتْ تَرانيمُ المَساء تَحْتَضِر
هُناكَ عِنْدَ قَبْوِنا العَتيق
بَيْنَ الصُّخُور والشُّمُوعِ والعرَق
وغُرْبَةُ البَحَّارةِ الصِّغار
تَذُوبُ فى مَتاهَةِ النَّغَم
صَيْحَاتُهُمْ صَخَّابَةٌ قِصَار
تُشَيِّعُ الأَحزانَ والنَّدَم
مِنْ قَبْلِ أَن تَحِينَ رِحْلَةُ العَدَم

كانتْ مَجامِرُ الرّمادِ تَشْتَعِل

وشَمسُنا تَغيب

تَغيبُ فَجْأَةً عَلى الجَبَل

قَبْلَ الشُّروق

كانَتْ بُروجُنا المُشَيَّدهْ

يُدْرِكُها المَوْتُ الرَّهيبُ كلَّ حِين

وانفَضَّ سامِرُ الصِّحابِ ساعةَ السَّحَر

واسَّاقَطَ الشَّجَر

كانت تَهاوِيمُ الرِّياحِ تُسْكِتُ الأَنين

وتُوقِظُ الشُّجُون

وابتَدَعَتْ أَقدامُنا الظِّلال

بيْنَ الدُّروبِ الخَاليات

لَمْ نَتَلَفَّتْ خَلْفَنَا

إلى وَميضِ الذِّكْرَيات
يَرِفُّ مِنْ مَوانِئِ الشَّمَال
عَلَى رَوَاسِينا الشِّدَاد
لَمْ نَسْتَرِقْ أَسماعَنَا
إلى حَفِيفِ الأغْنِيات
ينسابُ من بيادِرِ الحَصاد
ومِنْ مُروجِ البُرْتُقَال
والشَّمْسُ فى غَلائِلِ الضُّحَى
تُعانِقُ الأَطفال
لم تَنتَهِكْ جِبَاهَنَا
سَنابِكُ الجِيادِ ، والجُبَاه
تَعيثُ فى لَيْلِ القُرَى
بينَ عَوِيلِ الأُمَّهات

ولم يَكُنْ وَدَاع
لأنّنا عُدْنا بلا تَذْكار
إلاّ بَقايا من دُموع
تَحَجَّرَتْ عَلَى الجُفُون
وسُخْريات مَجْلِسِ السَّمَر
تحتَ الدُّخَانِ والسُّعالِ والقَمَر
من الدُّمَى الجَوْفاءِ والإلَه
كانتْ أَمانينا المُضِيئةُ الحِرار
مَخْضُوبَةَ الجَناحِ بالجِراح
مَصْلوبَةً عَلَى الجِدَار
بِلا أَغانٍ حَوْلَها ولا زُهور
كانت ضُلُوعُنا خَواء
تناثَرت قُلوبُنا عَلَى الطَّريق

تَطايَرَتْ مَعَ الرِّياح

* * *

يا إخوَتِي هل تَذْكُرُون
مَرَّ الرَّبيعُ مِن هُنا هذا الصَّبَاح
وَقبَّلَ الصِّبْيَانَ والبَنات
وحينَ راحَ يُقْرِئُ الرِّجَال آيةَ السَّلَام
لم يَلْقَهُمْ عَلَى الطَّرِيق
كانُوا هُنَاكَ في مَشارِفِ التِّلال
مُشَرَّدِينَ يَبْحَثُونَ عن قُلُوبِهِم
عَلَى ذَوائِبِ الشَّجَر
عَلَى منَابِعِ الميَاه
عَلَى غَمَائِمِ القَمَر
وَيلْغَطُون بالصِّياحِ هائِمين :

يأيُّها القَضَاء

رُدَّ القلوبَ لِلحَيارَى والعُناه

فإنَّنا بَشَر

لسنا دُمًى جَوْفَاءَ يا إلَه

وفجأةً هَبَّتْ أَعاصِيرُ الشَّمال

عَلَى رَواسِينا الشِّداد

عَلَى بيادِرِ الحَصاد

عَلَى مُروجِ البُرْتُقال

تُطارِدُ الرِّجالَ فى مَشارِفِ التِّلال

بينَ عَويلِ الأُمَّهات

ومَصْرَعِ الصِّبيانِ والبَنات

مِنْ يَوْمِها يا إخْوَتى

رُدَّتْ قُلوبُ الشَّارِدِين
عادُوا إلى لَيْلِ القُرَى
يُطارِدُونَ عُصْبَةَ الذِّئاب
وفي النَّهارِ يُسْقِطُون عَادِيَ الجَرَاد
حَتَّى ضَحاياَهُمْ عَلَى التِّلَال
عادَتْ قُلوبُهم تَسِير
دِماؤُها مشَاعِلُ الطَّريق
راياتُنا ثِيابُهَا المُخَضَّبه
وأُغنِياتُها بَشِير
وغَيَّضَتْ دُمُوعَهَا النِّساء
وغادَرَتْ مُهودَها الأَطفال
والأرضُ حَنَّت لِلثِّمار

لِلشَّمسِ ، لِلطُّيورِ ، لِلعَبير
وحينَ آبَ من غِيابِهِ الرَّبيع
وقَبَّلَ الصِّغار
كانتْ مَوانِينا عَلَى الأُفُق
تُضِيءُ بالتَّذْكَار
والسِّنْدِبادُ يَنْشُرُ الشِّراع
في لُجَّةِ البِحَار
وشَمْسُنا تَعُود
كانت أَيادِينا تُحَطِّمُ الجِدار
وتَرْفَعُ السُّدودَ في مَنابِعِ المِياه
والأرضُ تَحْيَي من جَدِيد
كانتْ نَسائِمُ الصَّباحِ والأَصِيل

تُرَطِّبُ الجِبَاهَ بالقُبَل
ومَوْكِبُ العُشَّاقِ يملأُ العُيون
بالحُبِّ ، بالحنينِ ، بالأمل
عَلى ضِفافِ النِّيل
كانتْ تَرانِيمُ القلُوب في الشُّروق
تَبُثُّ شَوْقَ العائِدِين
للأرضِ ، للأَحْلامِ ، للبنين
وتَفْتَحُ الطَّريقَ لِلرَّبيع
بينَ أغانى الأُمَّهات
وضَمَّةِ العَذْراءِ لِلوَليد
ورَقْصَةِ النُّجُومِ فى المياه
عَلَى قُدُومِ الرَّاحِلين
كانت تَرانِيمُ المَساءِ فى القُرى



عَلَى بيادِرِ الحصَـاد
عَلَى مُروجِ البُرْتُقـال
وضَجَّةُ المدائِنِ المُضِيئةِ الفِساح
عَلَى موانِىءِ الشَّمال
عَلَى السُّدُودِ المُشْرَعاتِ فى الجَنُوب
تَبُثُّ شَوْقَ العَائِدِين
وتُقْرِىءُ الرِّجَال آيةَ السَّلام

حكاية من الصبا..

[لم يَبْقَ بيننا حِجاب
يداكَ بالحنينِ تَطْرُقانِ كلَّ باب
تُراوِدَان كُلَّ سِتْر
وكُلَّ سِرّ

وصِرْتُ لك

وأَنتَ لَمْ تَزَلْ تَضِنُّ بالجَواب

ماضِيكَ طِلْسَمٌ مُحَجَّب القَرار

صِباكَ مَوْجَةٌ عَلَى بُحُور

مَجْهُولَة التَّيار

كم سَبَحت رُؤايَ كي تَراه

ولم تَعُدْ من رِحْلَةِ العُباب !

* * *

رفيقتي تَشُوقُها حِكايةُ الحَياه

تَوَدُّ لو تَغُوصُ في الضُّلُوع

لِتَمْلِكَ ابتسامةَ الطَّـرُوب

ودَمْعَةَ الغَريب

في قَلبيَ الّذي أَضَلَّه الشَّباب

بواحَةٍ يَنبُوعُها سَراب !
كُفِّي عن السُّؤَال . . .
عَيناكِ تُشعِلانِ حَوْلَيَ السُّكُون
تُطَوِّقانَ خَيْمةَ المَساء
يَدَاكِ في يَدَيَّ طَائِرانِ يَطْعَمان
من حَبَّةِ الفُؤَاد
فِراشُنا الصَّغِير
يقولُ لي : في نَضْرَةِ الرَّبيع
رِوايةُ الشِّتاءِ تُورِثُ السَّأَم . . !
تُراكِ لَوْ شَهِدتِ يا رَفيقتي
خُطايَ في طَريقيَ القَدِيم
والظِّلُّ يَحجُب الأُفُق
عن عاشِقِي الظَّلام

والهاربينَ من مَشاعِلِ الحَياه
تُراكِ كُنْتِ تَغْفِرين لِلَّذِى مَضى غريب
عن مَوْكِبِ الرِّفاق
وتُوقِدِينَ شَمْعَتَيْن
يَميدُ فى سناهُما جِدارُ عُزْلَتِى الرَّهِيب ؟

* * *

مَا زِلْتِ تَسْأَلِين
عَيناكِ تَفرشانِ مُهجَتِى رَبيع
لِتَقْطُفَا نُوَّارَةَ التَّذْكار
حَصَادَ عُمْرِىَ الجَدِيب
وحَوْلَ عُشِّنَا الوَدِيع
تَنَاثَرَتْ مَقاطِعٌ من الفُؤَادِ فى الكَلام
وانْتَفَضَتْ قِيثارَةٌ تَدُور

بِلَوْعَةِ الذِّكْرَى ..

* * *

رَفِيقَتِي حِكَايَةُ الصِّبَا
أُسطُورَةٌ رُوَاتُها الرِّيَاحُ والعَدَم
مَبْتُورَةٌ شَجِيَّةُ النَّغَم
كَمُقْلَةِ اليَتِيمِ يَوْمَ عِيد
ورُوحُكِ الرَّهِيفُ لا يَطِيب
أَن تَنْشُدَ السُّلْوانَ مِن أَسَاه
وأَنتِ تَمْلِكِينَ زَهْرَةَ الحَيَاه
وقَلْبَ أُم
وتَغْفِرِينَ لِلَّذِي مَضَى غَرِيب
عن مَوْكِبِ الرِّفاق
يَهِيمُ فِي مَتَاهَةِ الغُيُوب

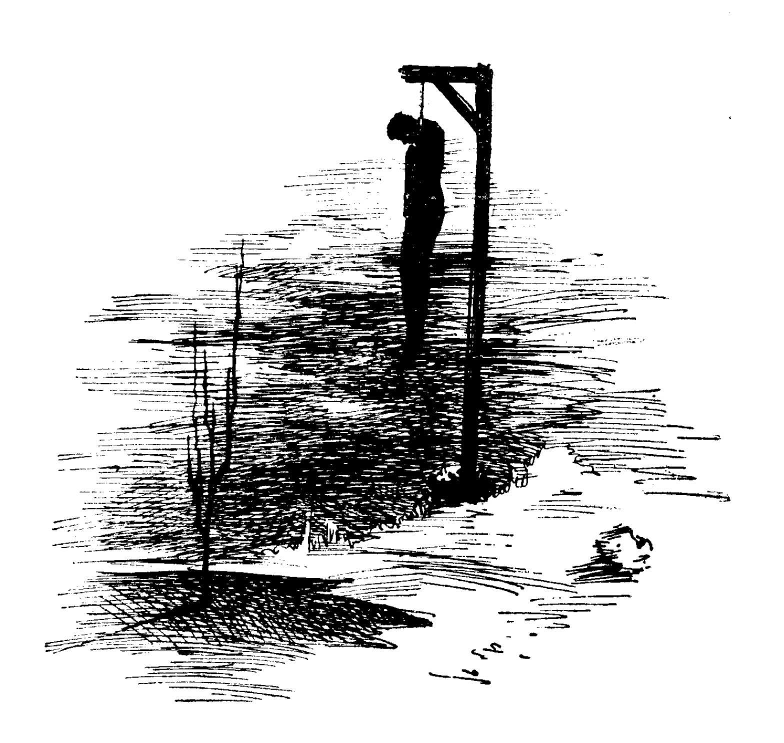
رَيَّانَ من سُلافَةِ الزَّوال
بلا غَـدٍ . . ولا أَخٍ يُعِين
وكُلَّما دَنا المَسَاء
يَسْبِقُهُ لِيَنْشُرَ الظِّلال
في دَرْبِهِ الطَّويل
وكان يَرْصُدُ القَدَر
ويُنْشِدُ الغِناءَ لِلنُّجُومِ والمِياه
ويُوصِدُ الأَبوابَ في وَجهِ الحَياه
وَمرَّةً غاصَتْ خُطاهُ في دَمٍ
دَمٍ عَلَى الطَّريق
دَمٍ صَدِيق
يا وَيْلَهُ ، دَمٍ عَلَى الطَّريق
ولا يَزالُ حَالِماً عَلَى الأُفُق

يُعانِقُ الشَّـفَق
دَمٍ عَلَى الطَّـريق
يا وَيْلَهُ ، دَمِ الأَحِبَّةِ الرِّفاق
مُلَطِّخًا جَبِينَهُ العِمْـلاق
فى وَهْـدَةِ انْعِزَالِهِ الكَئِيب

* * *

وكُنْتِ قَطْـرَةً
مَضَـى بِها الطُّـوفَان
مُدَوِّيًا بِصَرْخَةِ العُيون
فى القَاعِ تَسْأَلُ السُّفُوحَ والقِمَم
متَى يَحِـينُ فَجْرُنا الحَبِيب
متَى يَحِـين ؟
واشْتَبَـكَتْ سَواعِدُ الجُمُوع

ـ وكُلُّ فَرْدٍ فى الصِّراعِ عالَمٌ كبيرـ
وكُلَّما هوى صَريع
تَفَتَّحَتْ عَلَى الطَّريقِ كُوَّةٌ من الضِّياء
وخَضَّبْتُ يَدِى الضَّحايا بالنَّجيع
« يا شَاعِرًا يَخُطُّ قَلْبَهُ
عَلَى صَحَائِفِ العَدَم
بريشَةِ الضُّلُوع
ليَجْتَنِى بَرَاعِمَ الذِّكَر
وَيَجْتَلِى غَمَائِمَ القَمَر
ونحنُ فى دِيارِنا نَجُوع
ويُوقِدُ الخُوَّانُ من أَنفاسِنا شُموع
ويَصْنَعُ الطُّغَاةُ من أعوادِنا مَشَانق
ومِن ضُلُوعِنا مناجِل



لِيَحْصُدوا فى أَرضِنا الرَّبيع

وَيَحْجُبُوا وجهَ الصَّباح

* * *

لا تَفْزَعِى

دَعِى صَغيرَتِى عَلَى مِهادِها

حِكايةُ الشبَّابِ حُلْوَةُ الخِتام

والشَّاعِرُ الشَّرُودُ عاد للرِّفاق

ولم يَعُدْ دَامِى الشَّفَق

يُثيرُ بى الحَنِينَ والقَلَق

ويَغْرِسُ الجِرَاحَ فى دَمِى

والسُّقْمَ فى فَمِى

يداكِ فى يَدَىَّ نَصْدَعِ الجِدار

لِنَلْتَقِي بِمَنْ نُحِبّ
ونَفْرِشَ الطَّرِيق للصَّـديق
زُهورَ حُـب

ضابط في القرية

« لا تَزْحَمِ الطَّرِيقَ بالخُطَا
خُطَاكَ ظِلُّ طَارِقٍ كَئِيب . . ! ! »
وكُلَّما مَضَيْتُ هَارِباً منَ الصَّدَى
لَمْ أَنْجُ من عُيونِهِمْ تُطَوِّقُ الطَّرِيق

وأَلفُ وَجْهٍ . . أَلفُ عَيْن

تَقُولُ : يا غَرِيب

لا تَزْحَمِ الطَّرِيقَ بالخُطَا

يَأَيُّها الغَرِيب . . ! !

* * *

كَأَنَّما تَقَلُّبُ السَّماءِ جَبْهَتِي

بِالقَحْطِ ، بَعْدَ نَضْرَةِ المُنَى وَقِلَّةِ الجَنى

وفى ظِلالِ كُلِّ حَائِطٍ ومِئْذَنَهْ

يُواعِدُ الرِّجالُ بَعْضَهُمْ ويَلْتَقُون

عَلَى حَنِينٍ حائرٍ حَزِين

ويَلْعَبُ الصِّبيانُ والبَنَات

ويَنْقَضِى المَساء

والزَّيْتُ فى السِّراجِ لا يَزَال

عَلى مسارِبِ الدُّرُوبِ يَسْكُبُ الظِّلال
ويَصْحَبُ الظَّلامَ تابِعٌ مُرِيب
ويَسْكُنُ السَّهْرانُ والخَفير
وفى سُجُوِّ قَرْيَتِى تَرُوعُنِى مَطَالِعُ الصَّبَاح
أَخافُ أَنْ يَجِيء
وأَلفُ وَجْهٍ .. أَلفُ عَيْن
تقول: يا غَرِيب
لا تَزْحَم الطَّرِيقَ بالخُطَا
يَأَيُّها الغَرِيب ..!!

* * *

لَكِنَّهُمْ عِنْدَ الحَصادِ يُرْسِلونَ لِى
سنابِلَ الوِدادِ مِثْلَ حَبَّةِ الفُؤَاد
نَقِيَّةً كَقطْرَةٍ من المَطَر



وفى ليالى الصَّيْفِ يُزْهِرُ القمَر
ويُومِضُ الثَّمَر
وكالنَّدَى يُرَقْرِقُ الحديثُ حَلْقَةَ السَّمَر
كَم شَاقَنِى الهَوَى لِصُحْبَةِ الرِّفاق
هُنَيْهَةً فى السَّامِرِ الطَّرُوب
وكَمْ رَجَعْتُ فى إِهَابِىَ الغَرِيب
وَأَلفُ وَجْه . . أَلفُ عَيْن
تَقُولُ : يا غَرِيب
لا تَزْحَمِ الطَّرِيقَ بالخُطَا
يَاأَيُّها الغَرِيب . . ! ؟

* * *

الأَوْجُهُ السَّمْراءُ لَوَّحَتْ بَرِيقَها اللَّيَال
وطُولُ صُحْبَةِ الظِّلال

وكُلَّ عامٍ تُقْبِلُ الحَياه
وَيُولَدُ النَّهْرُ الخَصيبُ فى الجَنُوب
لَكِنَّما رِيحُ الشَّمالِ تَنْكَأُ الجُرُوح
فيُنْشِدُ الرُّواةُ فى الأُرْغُول
حِكايَةَ الأَميرِ والفَلاَّح
والجُنْدُ تَغْصِبُ الدِّيارَ بالسِّلاح
وتَحْجُبُ الآباءَ عن عُيون كُلِّ أم
وَيسْرِقُ الحُرَّاسُ طَيِّبَ الثِّمارِ للأَمير
وَيُعْوِلُ الأُرْغُول فى الوُجوه
بِلَوْعَةِ النِّساءِ والأَطْفال
وكُلَّما طَلَعْتُ من حَنِيَّةِ الطَّريق
تُشيرُ لى الأَصابِعُ النَّحيلَه
ويَرْتَمِى فى مِسْمَعِى النَّشيجُ كاللَّهيب

بِلَعْنَةِ الحُـــرَّاسِ سَارِقِ الثِّمار
وأَلفُ وَجْهٍ . . أَلفُ عَيْن
تقـولُ : يا غَـرِيب
لا تَزْحَـمِ الطَّـرِيقَ بالخُطَـا
يَاأَيُّها الغَرِيب . . ! !

* * *

غَرَسْتُ من مَحَبَّتِى شُجَيْرَةً خَضْراء
ضِياؤُها نُوَّارةُ الحُقُـول
وقُلتُ لِلرِّفاقِ : يا أَحبـاب
أَبوابُـكُمْ مَمْدُودةُ الرِّحاب
لا تُوصِدُوها فى الوُجُوه
فقَــدْ سَقَيْتُ مِثْلَـكُمْ شُجَيْرَتِى
بدَمْعَـةِ الصَّـفاءِ والحَنَان

وَلَسْتُ بالغَرِيب

أَبِي الذى مَضَى

ولَمْ تُشَيِّعْ نَعْشَهُ حُشود

خُطَاه ما تَزالُ بَيْنَكُم عَلَى الطَّرِيق

وعَيْنُه تُقَلِّبُ السَّماء

لِتَضْمَنَ النَّماءَ لِلبُذُور

والزّادَ لِلصِّغَار

وكانَ يُؤْنِسُ الغَرِيب

ويُوقِدُ المِصْبَاحَ فى الدَّرْبِ الطَّوِيل

صباحُهُ وِداد

ولَيْلُهُ سَلَام

وَقد عَشِقْتُ مِثْلَهُ الصِّحاب

وَحَنَّةَ الأُرْغُولِ في المسَاء

وَجِئْتُ بَيْنَكُم يَضُمُّنا طَرِيق
سَمَاؤُهُ نُجُوم
وَأَرْضُهُ أطفال
ولَسْتُ بالغَرِيبِ يارِفاقُ لَسْتُ بالغَرِيب

* * *

لَكِنَّما رِفَاقِيَ العُناةُ واجِمون
عُيونُهُمْ على إهابِيَ الغَرِيب
ومِشْيَةُ الجَوادِ بِي تَهِيج
لَوَاعِجَ الشُّجُون
وتَحْمِلُ الأَنِينَ عَبْرَ كاهِلِ السِّنِين
مِنْ مَصْرَعِ الجُدودِ فى سنابِكِ الجِياد
وعَوْلَةِ النِّساء بينَ الطِّينِ والرِّياح
وَموْكِبِ الحُرَّاسِ والأَمِير

وقد أُغَنِّى الفَجْرَ لِلسَّارِينَ فى الظَّلام
وأحرُسُ الثِّمارَ لِلفَقِير
وفِى يَدِى قَصِيدةُ السَّلام
وكُلَّما رَمَى بِىَ الحَنِينُ للجُمُوع
لَمْ أَنْجُ من عُيونِهمْ تُطَوِّقُ الطَّرِيق
وألفُ وَجْهٍ . . ألفُ عَيْن
تَقُولُ : يا غَرِيب
لا تَزْحَمِ الطَّرِيقَ بالخُطَا
يا أَيُّها الغَرِيب

دم على البحيرة

[في مقاومة الإقطاع في الصيد من البحيرات]

[لا تَهْبِطْ أَدْنَى الجِسْر
لا تَهْبِطْ
ما أَشْقَى صَيَّادًا أَلْقَى شبَكَه
في بِرْكَةِ دَم

وتوَلَّى والصَّيْدُ وَفِير
لـكنَّ الشَّبَـكَةَ تَنْزِفُ دَم]

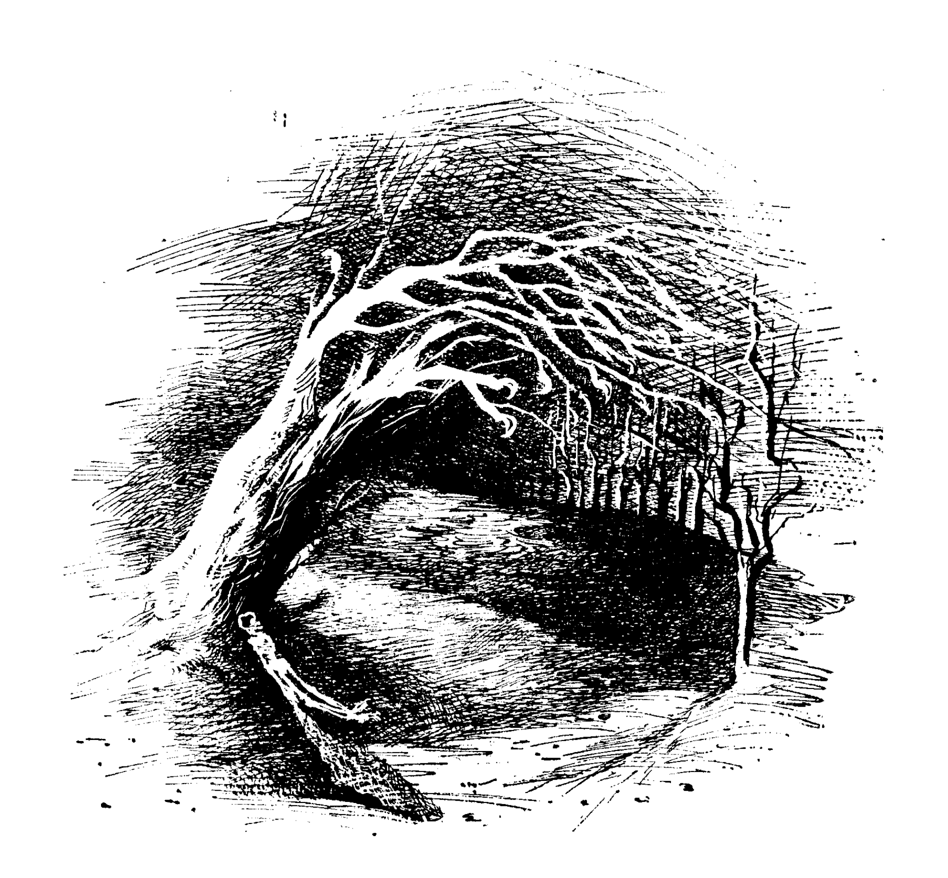
*   *   *

« مِتْوَلِّى » سَأْمانُ اللَّيْلَهْ
لَمْ يَطْعَمْ زادًا فى يَوْمِهْ
لَمْ يَخْلُ إلى أَوْلادِهْ
مُنذُ تَبَيَّنَ أَوَّلَ خَيْطٍ أَسْوَد
لَمْ يُسْلِمْ لِلظُّلْمَةِ نَفْسَهْ
ومَضَى يَمْشِى فَوْقَ المَاء
صَدْرٌ عُرْيانٌ وَجَبِينٌ يَتَّشِحُ الهَمّْ
والقَارِبُ أَشلاءُ عِظامٍ مَنْخُوبَه
فَوْقَ بُحَيرهْ
[يا أَهْلَ القَرْيهْ

لا يَبْرَحْ رَجُلٌ دارَهْ
لا يَهْبِطْ صَيَّادٌ أَدْنى الجِسْر
بِئْسَ العَيْشُ خَضِيباً في بَحْرِ دِماء
إنِّي أَسمَعُ لِلرِّيحِ مناحه
وَعَوِيلَ نِساءٍ في الشَّاطِيءِ يَحْمِلْنَ الأَطْفال
وَرَفِيقاً تحتَ النَّجْمِ قَتِيل
لَمْ يَدَعِ الشَّبَكَةَ تَهْوِي مِنْ يَدِهِ
حتى لَفَظَتْ جُثَّتَهُ الأَمْواج] .

* * *

ذَهَبَتْ أَدْراجَ الرِّيح
صَيْحَةُ «متْوَلِّي» في أَطْباقِ اللَّيْل
لَمْ تَجْرِ عَلى شَفَةِ القَرْيه
لَمْ تَطْرُقْ آذانَ الصَّيادِين



كانوا أَدْنَى الجِسرِ يَنُوصون
لَكِنَّ الصَيْدَ يُحَرِّمُهُ جيرانُ القَرْيهْ
أَدْنَى الجِسر . !

* * *

لَمْ يَحكِ رِجَالٌ فى عَوْدَتِهِمْ
عَنْ مَصْرَعِ فِتْيانٍ كانُوا أَصْفَى
مِنْ حَبَّاتِ نَدًى فَوْقَ شِرَاع
لَمْ يَحْكُوا عَنْ عُنُقٍ تَهْوِى فيَسِيلُ المَاء
بِرْكَةَ دَم
كَمْ نُصِبَتْ فى قاعِ الوادِى تَحْتَ الشَّمْس
تَتَحَدَّى العَاصِفَ والتَّيَّارْ
تَتَحَدَّى الصَّقْرَ على قِمَّتِهِ
عَنْ أَيْدٍ كَمْ شَقَّتْ بِالمِجدَاف طَرِيق

لِتُطِيلَ حِبالَ العَيْش
شَجَّتْ أَحناءَ رِفاقٍ مِنْ أَحبابِ القَرْيهْ
كانُوا يَغْشَوْنَ غِمارَ المَوْج
مِنْ أَجْلِ رَغيف
لَمْ يَحْكُوا إِلاَّ عَنْ أَطْفالٍ غَرِقُوا
صَرْعَى الآباء
وجُدُودٍ غُرَماءٍ في الصَّيْد
غَرَسُوا أَحْقَادَ الأَبْنَاء

* * *

ما زالَ على دَرْبِ القَرْيَةِ صَوْتٌ يأْتِي
من جَنَبَاتِ النَّهْر
يَعْرِفُهُ أَوْلادُ الصَّيَّادِين
ما زالتْ صَيْحَةُ «مِتْوَلِّي» عَبْر الأَمْوَاج :

[لا تَهْبِطْ أَدْنَى الجِسْر
لا تَهْبِطْ
ما أَشْقَى صَيادًا أَلْقَى شَبَكَهْ
فى بِرْكَةِ دَم
وَتَوَلَّى والصَّيْدُ وَفِير
لكنَّ الشَّبَكَةَ تَنْزِفُ دَم]

قصة صيادين

كَتَبُوا فَوْقَ حَوافِي المَوْج
قِصَّةَ جَبَّارِينَ عُنَاه
تَلْفُظُهُم ظُلُمَاتُ اللُّج
أَحْيَاءً صُنَّاعَ حيَاه

يَطفُونَ على شَطِّ العُمر
أَنْفاسًا حَرَّى الأَشْواق
وَقَوارِبُهُم عَبْرَ النَّهْر
مُهَجٌ تَرْتادُ الأَعْماق

* * *

ميراثُ الأَجْدادِ رِياحٌ تَعزِفْ
ومَجادِيفُ على اليَمِّ تُرَفْرِف
ووُجوهٌ فوقَ الماءِ تُجالِدُها الأَمْواج
غابٌ مُشْتَجِرُ الأَرماح
لايَحْنِي جَبهَتَهُ لِلرِّيح
لا يُوهِنُ صَخْرَتَهُ المَوْج
والنَّوْءُ الشَّاتِي قلبٌ يَخْفِق
وضُلوعٌ تَتَمزَّق

وشُمُوعٌ مِنْ لَهَبٍ أَزْرَق
يُوقِدُها نَجْمٌ طَافٍ في ظُلُمات الأُفْق
وحَكايا فَلَّاحٍ أَخْرَق
يَرْويها في الشَّطِّ المُعْتِمِ
صَيَّادٌ مُعْدَم

* * *

ما زالَ الرَّكْبُ يُعانِي الوَيْل
ودُرُوبُ الماءِ تُغَشِّيها الأَشْبَاح
غامَتْ حتَّى في عَيْنِ المَلَّاح
والمَدُّ الزَّاحِفُ مُنذُ اللَّيل
أَقدامٌ تَنْقلُها مَرَدَهْ
والشَّطُّ شُجَيْراتٌ غَضَّه

وَوِسَادُ صَبِيٍّ ضَائِع
وَنَقِيقُ ضَفادِع
ورِياح

* * *

هَلْ يَنْحَسِرُ القَمَرُ الرَّانِي
من شُرُفاتِ اللَّيْلِ الفِضِّي
وَيَعُودُ الظِّلُّ إلى الأَرْضِ
فالصَّيْدُ النَازِحُ يَهْوَى القَمْراءَ على النَّهْر
وعُيُونُ الشَبَكِ اللَّيْلَةَ تَغْفُو
لـكنَّ الأَطْفالَ عُيونٌ تَهْفُو
وشِفاهٌ تَلْعَقُ مُرَّ الصَّبْر
ومضَى صَيَّادٌ عَارٍ يَلْعَنُ سِحْرَ القَمْراء
ويُلَمْلِمُ أَحْبَالَ شِباكِهْ

مُعْتَنِقاً أَلواحَ القَارب
حتَّى الفَجْر
مُرْتَقِباً وَجْهَ الرَّحْمَن
الطَّالِعُ صَيْدٌ هارِب
لٰكنَّ اللهَ وَلِيُّ الجائعِ والعُرْيان !

* * *

ماذا يَنْتَظِرُون
ماذا يَنْتَظِرُ الجمْعُ الرَّابِضُ فَوْقَ المَوْج
وقَوارِبُهُم تَذْرُوها الأَنْواء
وليالِي الصَّيْدِ مَواوِيلُ كَئِيبهْ
يَحْكِيها نايٌ في الشَّطِّ حَزِين
وامرأَةٌ تَقْبَعُ في قَارِب

كَفّاها فَوْقَ الخَشَبِ العَـــانى
تَضْرِبُ أَلْحاناً لِلصَّيْدِ رَتِيبَـــه
لـكنَّ السَّمَكَ السّارِبَ فى قاعِ المَـــاء
لا يهْفُو لِنــــداء

* * *

لَنْ يَفْـــــتَرِقَ الشّمل
لَنْ يَهْوِىَ مِجدافٌ مِنْ أَيْدِى جَبّارِينَ عُتَاه
فلْتُطْبِقْ أَشباحُ اللَّيْل
لَنْ تَعْنُوَ لِلرِّيحِ وُجوهٌ نُصِبَت
فوقَ المَوْجِ تُجالِدُ حَتَّى الصَّخْر
ولْتَعْصِفْ ظُلُماتُ النَّوْءِ الشّاتى
لنْ تَسْكُنَ دَقّاتُ قُلوبٍ صَمَدت

فى وَجْهِ المَقْدُورِ العاتِى
لنْ يَفْنَى إنسانٌ يَصْنَعُ أَيَّامَهْ
مِنْ ذَوْبِ الأَنفاسِ الحَرَّى
وتُضِيءُ على المَوْجِ ظَلاَمَهْ
عَيْنانِ تُشِعَّانِ الفَجْرَا

شعبان الصياد

صَيَّادٌ فَوْقَ بُحَـــيْرَهْ
يعرِفُهُ أَهلُ القَرْيـــهْ
وجهٌ يَحـكِي شَبَـكَةَ صَيْــد
وقميصٌ من زَبَدِ المَـــوْج

لكنَّ القلبَ يُطِلُّ من العَيْنَيْن
بِشْرًا وَيَرُشُّ الفَرْحَةَ فى الشَّطَّيْن
جَمْعُ الصَّيَّادِينَ يَسُدُّ الشَّمس
يَحجُبُ وجهَ الماء
لكنْ قارِبُهُ لا يَخْفَى
خَفْقَةُ مجدَافَيْهِ نِداء
مَسْراهُ على المَوْجِ غِناء
ورِجالٌ ، أَطفالٌ ، ونِساء
تخرُجُ أفواجًا من ليلِ القريهْ
لِتُحَيِّى وجهاً فى الظُّلْمَةِ يَبْسِم
وتُسَلِّم

* * *

الشَّاطِيءُ وعُيُون الأَطفال

وَحَديثُ الأَحبابِ على الباب
تَنتَظِرُ العائدَ من سُوقِ البَنْدَر
فى قاربِ شعبانِ الصَّياد
ليُوَفِّى ما وَعدَ الأحباب
ما أَغْلى إِرْثَ الأَجداد
لكنَّ الرِّزقَ يُحِبُّ خَفيفَ الخَطْو
منذُ تَهرَّأَ نَسْجُ الشَّبَكهْ
لم يَهْبِطْ تحت الماءِ يُسَوِّى
حَلَقَاتِ الصَّيْد
وَمَضَى يُشْرِعُ مجدافَيْن
ويُطَوِّفُ بينَ الشَّطَّين
ويُديرُ على الرَّكْبِ حكايَا حُلْوَهْ
عن غَوْثِ المَلْهُوف

ودَوامِ المَعْـرُوف

* * *

اللَّيْلَةُ طالِعُها نَجْمٌ غـارب
وَجناحٌ يَحْـكِى قِصَّةَ فَجْرٍ يُولَد
وخُطًا تَضْرِبُ فى طُرُقاتِ الغَد
وعلى اللُّجَّةِ تنسابُ إلى الصَّيْد قوارب
ويُقِلُّ رِفاقًا لِلْقريةِ قارب
موكِبُهُم لا يحدُوه غناء
لا بِشْرَ يُطِلُّ من العَيْنَيْن
ويرُشُّ الفرْحةَ فى الشَّطَّيْن
ووجوهٌ كانت بالأمسِ تُحَيِّى
ضَحِكَاتِ الشَّمس
فوقَ جبينٍ يَبْسِمُ فى الظُّلْمَهْ

كانتْ بالأَمس

تَعْتَدُّ لِقاهُ زادًا للأَيَّامِ الجَهْمه

أَضحَتْ لا تفتَقدُه

شَغَلَتْها عنه رياحُ العَيْش ! !

مَنْ يَذكُرُ شَعبانَ الصَّياد

مَنْ يَذكُرُ بَسمَتَهُ الرَّطْبَهْ

وَحكاياهُ العَذْبَهْ

مَنْ يذكُرُه فى الغُربَهْ ؟

* * *

مُنذُ تَخَرَّقَ قارِبُهُ الأَوْحَـــد

وطَواهُ الشَّطُّ عن الأَعْيُن

مال على الخَشَبِ العانى يدفَعُ مدَّ المـاء

بذِراعَىْ صيَّادٍ شَبَّ مع الأَنْواء

وبِصَدرٍ يَبْكِي نِسيانَ الأَحباب
إلا أَطفالاً ما زالوا حوْلَه
كالطَّيْرِ المنثُورِ على شَطِّ القَرْيهْ
جاءُوا من بَيْتِ الجَار
مِنْ حَلَقَات السُّمَّار
كانُوا ظِلَّه :
« لا تَحمِلْ هَمًّ يا شَعبان
لا تَخْلُ إِلى الأَشْجان
القريةُ ما زالتْ تنتَظِرُكَ
والشَّطُّ حَزينٌ من أجلِكْ »
وتلاقَتْ أَيدٍ كالأَعوادِ الغَضَّهْ
تُوقِفُ دَفْقَ الماءِ العاتى
تَدْعُو شَعبانَ إِلى العَودهْ

تُشْعِلُ رُوحًا داجِى الوِحْدَهْ

* * *

ما أحلَى عَوْنَ الأَحباب
شَعبانُ يَعودُ إلى لَحْنِهْ
وتُضِيءُ البَسْمَةُ فى عَيْنِه
وعلى المَوْجِ نُسَيْمَاتٌ رَطْبهْ
وحِكاياتٌ عَذبَهْ
عنْ غَوْثِ المَلهُوف
ودَوامِ المَعْـرُوف

أحلام صياد صغير

أصواتُهمْ فى اللَّيلِ داميةُ الأَنين
فى الفجْرِ صفْراءُ اللُّحون
ووميضُ نَجمٍ شاحِبٍ تَحْتَ السَّحاب
نَجْم صَغير

عَانِى الجَبِينِ فلا تُحَسُّ به العُيون
والأَوْجُهُ المشبُوبةُ القَسَماتِ يَلفُّها السُّكُون
مَشدُودةَ اللَّحَظاتِ فى وَجْهِ المِياه
والصَّيْدُ رِحلتُه تَنوءُ بها السَّواعدُ والجِباه
أَبدًا تَغُور
فى القاعِ خَلفَ شِباكِها أَبدًا تَغُور
والقاعُ يطوى جوفُه سرَّ المَسِير
صُندوقُه المَسْحورُ تحْرُسُه الأَيادِى الجَامِده
القابضاتُ على المَصِير
الغارِقاتُ بلُجَّة اللَّيلِ الرَّهِيب
الصَّاعداتُ مع الحَياه
الصَّامِدات مع الجُموع العَانيه
فوقَ الرِّياحِ تُطارِدُ الرِّزْقَ السَّليب

ويحثُّها سَوْطُ الصّراع
فتُعانقُ الريحَ العَتيَّةَ ، لا تَثورُ على الجِراح
وتُجالِد الظُّلُماتِ والأَنْواءَ ، لا تَدَعُ الجِلاد
لَيستْ تَضِلُّ ، ولِلدُّجى صَمْتُ القِفار
أَو تستبدُّ بها المَخاطِرُ فى العُبور
مِزَقٌ من الإنسانِ فى كفِّ الضَّياع
بينَ القضاءِ الزَّاحِف المجهول والعَيشِ المَرير

* * *

الليلُ مُشْتجِرٌ بأعلامِ النَّخيل
والعُشْبُ في الشَّطَيْنِ يتَّشِحُ السَّواد
وعُواءُ ذِئبٍ فى الحُقولِ يُمزِّق السِّترَ البَهِيم
أَينَ الطَّريقُ إلى الصَّباحِ ، إلى البُكور
والشَّمْسُ من أَشجارِ قريتِنا تُطِلّ على الدُّروب

والعائِدونَ من المَرَاسِى يخرُجون
للسوقِ ، والصَّيْدُ الوفيرُ على السِّلال
يَفِدُونَ وُحْدانًا تَلاقى فى طَريق
الفَجرُ لاح
فمَتَى يَطيبُ لنا النَّهار
وَتُصيبُ حَلْقتُنا مِنَ السُّوقِ الكَثير ؟
ومَضى يُغنِّى حُلْمَهُ المنشودَ صيَّادٌ صَغير
لَمْ يَكتحِلْ فى ليلِهِ غيرَ السُّهاد
لمْ يَفترِشْ غير القوارِبِ من مِهاد
لكنَّما أحلامُهُ الزَّرقاءُ من وَشْى النُّجوم
والنجمُ يجنَحُ للأُفول
وعلى حَوافِى الأُفْقِ يحتَضِنُ الضِّياء
طيرٌ جَسور



هذا الرَّفيفُ له نِداء
لِلنَّهرِ يحملُ ماؤُه زادَ الرَّحيل
ودنا يُرنِّقُ في الفَضاء هُنَيْهَةً
ورَمى العُيونَ الصَّابراتِ بنظرةٍ
رشَق الشِّباكَ بها وغَاب
وأَتَى النَّهار
وعلى جَناحِ الموجِ صيَّادٌ صَغير
يتعجَّلُ السُّوقَ الغنيَّةَ بالرِّغاب
لكنَّه خاوِي الوفاض

أغنية ريفية

يا قريتي
يا نجمةً خضراءَ في مشارفِ النَّخيل
تموجُ في بُحَيْرةِ الضِّياء
عيونُها مشاعلُ المساء

عَلَى مِهادِ النِّيل

وظلُّها صَفاء

فُؤَادُكِ الرَّهِيفُ يسكُبُ الحيَاةَ فى سُكون

للغَارِقِينَ فى دُجَى الأَغوار

والقابِعِينَ فى الدُّروبِ يَرْقُبُون مَطْلَعَ النَّهار

لِيَنْزِعُوا من قَبْضَةِ التُّرابِ لُقْمَةَ الكَفاف

والضَّارِبِينَ بالصُّدُورِ فى الصُّخُور

لِيُطْلِعُوا مِنْ وَقْدَةِ الهَجِير رَيِّقَ الثِّمار

ووَجْهُكِ المُطِلُّ فى حيائِهِ الحَزِين

أُغْنِيَةٌ تُهَدْهِدُ الهُموم

وَتَرْقأُ الدُّمُوعَ فى الجُفُون

وَتُوقِظُ الرُّقودَ فى سَواعِدِ الظِّلال

لِيَنْفُضوا عن كاهِلِ السُّراةِ لَعنَةَ الظَّلام

وَيجْتَلُوا الشّروق

* * *

يا قَرْيتي

مِنْ أَجْلِكِ العُيونُ في سُهاد

تَخَافُ في صِراعِها القَضاء

أَنْ تُطفَأَ النُّجُومُ والأَقمار

في أُفقِكِ الرَّحيب

ولا يَعُودَ نَهْرُكِ الحَبيبُ بَهْجَةَ الجُموع

مِنْ أَجْلِكِ العُناةُ يَزْحَفُون

ويَحفرون بالأَظَافِرِ الشِّدادِ أَحْرُفَ البَقاء

لِيَفْتَحَ التّارِيخُ صَفْحَةَ السَّلام

وَيكْتُبَ اسْمَكِ الصَّغيرَ بِالضِّياء

رسالة إلى القاهرة

مَدِينتي

يا رايةَ الأجْيالِ ، يا أنشُودةَ الحيَاه

يا جَنَّتي

رمَى بِيَ المَطافُ بين أَعْيُنِ العُناه

ورِحْلَةُ الشَّباب فى حِماكِ لم تَطُل

وما خبا الحَنينُ فى دَمِي ، ولم تَزَل

أنفاسيَ الحِرارُ تَسْتَحِثُّ عَوْدتي

فِداكِ مَدْمَعِي العَصِيُّ يا مدِينَتى

فِداكِ لَوْعَتِى

* * *

خُطايَ طَوَّفَت على بِعادِكِ الدِّيار

أَسْتافُ وَرْدَةً غَرِيبةَ القِفار

أَشُمُّها ، أَضُمُّها

أَحِنُّ فى بَهائِها لِطَلْعَةِ ابنَتَى

وباقَةٍ من الصِّغارِ حَوْلَ خُطوَتى

تَصِيحُ بِى ، تَهُزُّنى

لاطْلِعَ النّهار
مِن لَيْلِ شَعْبِىَ الغَرِيقِ فى مَرارَةِ الصِّراع
لِأَحْطِمَ الكلالَ فوقَ صخْرةِ الضَّياع
لِأَسْكُبَ السُّلوانَ للجُمُوع
لِأُوقدَ الشُّمُوع
فى ظُلْمَةِ الدُّرُوب ، فى مسارِب القُلوب
وكنتِ واحَتِى
تُظِلُّنى إذا طَوانِىَ السُّرَى عن العُيون
وَضَجَّ فى مسامِعى السُّكُون
ومدَّ كفِّى فوقَ بابِ الفَجْرِ مَوْعِدَ الضِّياء :
« يا طارِقَ المَساء
كَمْ لَفَّنِى مع الرِّفاقِ ظِلُّكَ الرَّهيب
ووجهُكَ الكابى بلا عيُون

يحيطُ كالقُضْبانِ بالسَّجين »

* * *

فى قَرْيةٍ صَغيرةٍ مشقُوقةِ القَدَم
تُطِلُّ فوقَ رأْسِها الهُمومُ كالجَبَل
فَيَنْحَنى صَفْصافُها الهَرِم
عَلَى ضِفافِ تُرْعَةٍ مخْنُوقةِ النَّغَم
وتحملُ العَذراءُ ثوبَها الصَّغير
فى صُرَّةٍ إهابُها مِزَق
لتَغسِلَ الفُؤادَ من سَأَم
فؤادَها الغَرير
وفى الغُروبِ ترقُبُ الأُفُق
لَعَلَّ فارِسًا عَلَى الشَّفَق
يشِفُّ وجهُهُ النَّحِيلُ من غلالةِ الغَمام

لَعَلَّ كُوَّةً منَ الضِّياءِ تفرِشُ الدُّرُوب
لِتُؤنسَ الغَريب
وليلةُ القدْرِ التى تحينُ كلَّ عام
تَلوحُ مرَّةً لِمَنْ فؤادُهُ احْتَرق

* * *

مدينَتِي
وكَمْ شَهِدْتُ رسمَكِ الوَضيءَ زينةَ الدِّيار
وكَمْ لَمَحْتُ عَبْرةً على جِدَار
تَرِفُّ فى ظَلامِ من مَضى ولم يرَكْ
وكان وجهُكِ الوسيمُ أُمْنِيَهْ
وصوتُكِ الضَّحُوكُ أغنيهْ
لِمَنْ بَنَوْا من الرَّمادِ والحَصَا بُيوتَهم
وَكَوَّمُوا التُّرابَ كي يضُمَّ شمْلَهم

رأَوْكِ في أحْلامِهم نافُورة من البَشر

تَنهَلُّ كالأمْواجِ كالمطَر

رأوْكِ قَلْعَةً من الضياء

تموجُ بالحَياةِ والصُّوَر

ولَحنُكِ المُنسابُ عَبْرَ أُفْقِكِ المَديد

يَسيلُ في دُروبِهم كالسَّعْدِ يومَ عِيد

ويفتِنُ الأسماعَ سِرُّكِ المُذاع

يُطِلُّ من بَعيد

ولا تَرى بهاءَكِ القُلوب

* * *

وكم رَوَى السُّمَّارُ تحتَ خَيْمةِ الظِّلال

— وفي مَجامرِ الحَنينِ يُومِضُ الرَّماد

والقَمحُ فى بيادِر الحَصاد

يُضاحِك العُيونَ تبْرُهُ المُذاب.

ويُوقِد الرِّغاب —

حِكايَةَ ابنِ الرِّيفِ شَدَّ رَحلَهُ إليك.

وَوَدَّعَ الرِّفاقَ والأَحْباب

والأُمَّهاتُ جَفَّ صبْرُها الجَميل

فى غُربَةِ الأَولاد

وعادَ يحمِلُ المتاعَ والعيال

منذ اهتدَى إلى طَريقِكِ الكَبير.

ولفَّهُ صُندوقُكِ المَسْحُور :

« يا ليتَنا نزورُ أولياءَكِ الأَبْطال.

نهيمُ فوق ساحِكِ الفِساح

ونقسِمُ الرَّغيفَ بين أَهلكِ السِّماح »

* * *

مدينتي

ولم يزَلْ موَّالُهم يَدُور

يُسائِل اللَّيلاتِ والبُدور

عن طارقٍ مُغامِرٍ جَسُور

يُحَطِّم الصُّخُور

ويعبُر الأسوارَ والبُحور

ليلتقي بطَلْعَةِ الزَّمانِ حينَ يبتَسِم

على جبينِكِ النَّضير

ويجتلى رسْمًا على جِدار

لِصَرْحِكِ الأَشَم

بالأَمْسِ مَرَّ راجِفًا عَلَى سَناك

يَشدُّ قلبَهُ إلى خُطاك
وخلفَ ثَوْبهِ يُغَلِّقُ الرَّحيلُ دونَه الأَبواب
وَتختَفِي ملامِحُ الصِّحاب
ويُرسِلُ الموَّالُ صيْحةَ الغُناه
إذا التَقَتْ كفٌّ الغَريبِ بالغَرِيب
وأَخْصَبَتْ بحُبِّها الحيَاه
والناسُ فى شوارِعِ المدينةِ الرِّحاب
قوافلٌ تُظِلُّها سواعدُ الأحباب

* * *

مَدِينَتى
إن مَرَّ فى صَباحِكِ البَسيمِ طارقٌ من الحقول
لا تَحْجُبى عن عيْنِه النَّهار
لا تُوصِدِى فى وجهِهِ الطَّرِيق

فى حِماكِ حيث تُوقِدُ الشُّموسَ أَعْيُنُ العُمَّال
وَتُدفِيءُ القلوبَ فى مِراحِها الأَطْفال
ماتَملِكُ الحياةُ لِلجَميع
وَيَشتَهِى العُشَّاقُ من رَبيع
ولْتَمْسَحِى على الجِباهِ بالحَنَان
فقد مضَى بطِيبِها الزَّمان
وعاشَ فى غُضونِها الحِرْمان

* * *

مَدِينَتى
ولم أَزَلْ أَغُوصُ فى الظِّلال
والأرْضُ فى سخَائِها تَخضَرُّ بالرِّجال
لـكنَّهُمْ تحتَ السَّماءِ يَسْغَبون
ويظمأُونَ حينَ تُجْدِب العُيون

ويرتَوُونَ من عُلالةِ الرَّجاء
أن يغتدُوا يوْمًا إلى الشُّرُوق
فى ظِلِّكِ الأَمينِ بَيْنَ رُفْقَةِ الطَّريق
فيوقِدُوا الشموسَ بالقُلوب والعُيون
وَيَمْهَرُوا فى ساحِكِ الشُّجُون
ولا يَعُودُوا للضَّياع والحَنين

المقرئ الصغير

كلَّ صباحٍ أَلتقِي بطَلْعَتَهِ
كالظِّلِّ تحت خيْمةِ الغُروب
كالعُودِ فى بيـادرِ الحَصاد
يُطِلُّ بالجَبينِ ، يُضمِرِ الحنين

ويَرشُق الطَّريق

لَـكِنْ بلا عُيون

وَتقلَعُ السُّـكونَ خُطوتُه

والقريةُ العذراءُ تسمعُ الخُطَا

ولا تَرى العُيون

وَيُنْشَرُ الضِّياءُ كالأَمطار

يَفِيضُ فى مشَارِفِ الآفاق

مِن لَيْلِ قَرْيَتِى الطَّويل

بِلا عُيون

* * *

يا بَحْرُ ، يا طُوفانُ من أَقْدام

جامدةٍ ، جافيةٍ ، صُفوف

تشدُّها لأرضِها الشُّقوقُ والرِّياح

وتَغرِس السَّواعدَ الشِّدادَ كالرِّماح

فى الطِّينِ والرِّمال . .

لِتُطلِقَ البُذورَ من أَظافِرِ التُّراب

وَتلتقِى وُجوهُها . . أُلوف

تُغالِبُ الفَناءَ . . تُشعِلُ الظَّلام

وتَحفُرُ الطَّريقَ لِلأقدام

ويرفعُ الصَّبِىُّ صوتَهُ النَّحيل

وَيبدأُ التَّرتيل

فرُبَّما تكشَّفَتْ مَغالِقُ الصُّدور

ويسكبُ الوجْهُ الكَليلُ ومضتَيْن

لكنْ بلا عُيون

* * *

فى قريتى بحرٌ من الأقدام يحجُبُ الوُجوه

ويفرشُ الحنَانَ والضِّياء
أحبابُها المُشَّاقُ حِينَ يحلُمُون
بالأرضِ ، بالأكواخِ ، بالبَنين
وربما يقلِّبون فى التُّراب باحِثين
عن جوهرٍ كَرِيم
فَيبخَلُ التُّراب
لكنَّهُم لا يبخلُون بالعُيون
هديّةً للأُفْقِ كَىْ يُنِير
لِلأرْضِ كى تَدُور
لِلنَّهرِ ، لِلأقدامِ كى تَسِير

الخوف

[إلى صديقي محمود القروي الذي يشقيه شبح الحرب]

لا تَرْتَجِفْ
مَحْمودُ يا صَدِيقِيَ الوَدِيع
لا تَرْتَجِفْ
جَبِينُكَ البَسَّامُ غَضَّنَتْهُ غَيْمَةُ القَلَق

والخَوْفُ ماردٌ تَغُور

خُطاهُ فى فُؤادِكَ الأمينْ

ولا تَزالُ تَحْتَ طَرْقِها اللَّعين

تَصْفَرُّ نَضْرَةُ العُيُونِ والشَّجَر

فيَسْأَلُ الصِّغارُ وَاجِمِين :

« إلَهُنَا رَحِيم

والعَفْو عِنْدَهُ قَرِيب

فما الذى أثارَ غَضْبَةَ السَّماء

فتُرْسِلُ الرِّياحَ والشَّرَر

والجُوعَ والكَسادَ والضَّياع

والخَوْفَ يَأْكُلُ القُلُوب ؟ »

وَقَدْ تُجِيبُ حِينَ يَلْغَطُ الصِّغارُ بِالسُّؤَال :

« خَطِيئَةُ البَشَر ! »

وَلَسْتَ تُخْطِئُ الجَوَاب
فَقَدْ عَرَفْتَ يَوْمَ عَوْدَةِ الجُنُود
ولَوْعَةِ الذى مَضى حَبِيبُهُ ولَنْ يَعُود
عَرَفْتَ كَيْفَ يَصْنَعُ الإنْسانُ بالإنْسان

* * *

« سَعِيدُ » ما يَزالُ قابِعًا بِنِصْفِ وَجْه
وكانَ وَجْهُهُ صَبُوح
يُضِئُ فى مَواسِمِ الحَصَاد
ويَفْرِشُ الحَنانَ فى الأَكْواخِ والحُقُول
ويَهْتِفُ الصِّبيانُ : يا أَبِى
« زَكِيَّةُ » العَجُوزُ خانَها الكَلام
لا حَرْفَ ، لا ابْتِسامَ ، لا سَلام
وأَصْبحَتْ تَضِيقُ بابْنِ الجَار

كأنَّهُ غَريب
والمُقْرِئُ الضَّريرُ لا يَغيب
عنْ دارِها فى اللَّيْلِ والنَّهار
مِنْ يَوْمِ أَنْ طَوَى رَسائِلَهْ
وسَلَّمُوها ثَوْبَهُ وساعَتَهْ
وكِلْمَتَيْنِ : مات
واخْتارَهُ الإِلَه
وَحيدُها الحَبيب
ولمْ يَكُنْ يَحتاجُ للكَفَن
فقَدْ رَوَى الرِّفاقُ أَنَّهُ انْتَقَم
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَمُوت
وحِينَ ماتَ أَقْبَلتْ غَمامَةٌ بَيْضاء
وشاهَدُوهُ بَعْدَها كأَنَّهُ يُعانِقُ السَّماء

وكانَ يَبْتَسِم
وكُلُّنا فِدَى الوَطَن

* * *

الخَوْفُ تَغْمُرُ السُّفُوحَ والوِهَاد
ظِلالُه الكَئِيبَه
وتَعْصِرُ القُلوبَ كَفُّه الخَضِيبه
والقَرْيَةُ الخَضْراءُ فى سَواد
ولَمْ يَزَلْ صَدِيقىَ الوَدِيع
تُصافِحُ التُّرابَ قَبْضَتُه
وغَيْمَةُ الأَسى تُظِلُّ جَبْهَتَه
ورُبَّما مَضَى به الصِّغارُ يَسأَلُون
ويَلْغَطُونَ بالسُّؤَالِ عَن خَطِيئَةِ البَشَر
فلا يُجِيب . . . !

شوارع المدينة

لا عينَ ترنُو للقمَر
فالواجهاتُ والمَرايا والصوَر
قد نهَبَتْه فِتنةَ الشعاع
ذرَت ضياءَهُ شَظايا تنتَثِر

وقلَّدَتْها الليلَ والنِّسَاءَ والشَّجر :
« ما أَجملَ الليل لِمَنْ يُحِب
لـكنَّ فى زمانِنا البَخيل
يغرُبُ حتَّى فى تمامِهِ القمر »

* * *

وانبثقتْ غمامةٌ منَ العُطُور
وشَى بها زُجاجُ مَرْكَبَه
ومالت الصُّدور :
« طابتْ لنا الأَحلامُ لو تَعُود
وفى صحارَى القَلْبِ يسقطُ المَطَر
والشَّمسُ تجرِف الجَليدَ فى حَدِيقةِ الغَرام »

* * *

وانشقَّت الطريقُ عن صَبِى

تُراه لا يُؤذِى العُيونَ النَّاعمه
فى ثوبِهِ الأبيضِ فى شُحوبِ سُمرَتِه
يَطْفِرُ فى نافِذَةٍ مُضَوَّأه
يُشيرُ للأَنامِلِ الشَّمعيَّةِ المُوَرَّده :
« خَمْسةُ مِلِّيمات
هَدِيَّةُ الحَبيبِ عِقدُ فُل
مَنْ يَشترِى عُقودَ فُل ؟ »
فَراشةٌ تطيرُ بالعَبير
رَمت بها أزقَّةُ المَدينه
وقلبُها فى حلْقةِ الدُّخان يَستجير

* * *

واشْتعلَت مَراقِصُ المسَاء
كأَنما الأَعْيُنُ فى أَبْهائِها سُقاه

وضجّةُ الأَقدامِ ، ضِحْكةُ الشِّفاه

وَميضُ نارٍ تلفَحُ الخُدود

واللَّيلُ مَنْجَمُ المُنعَّمينَ والنّهارُ للعُناه

« عَشْرَةُ ملِّيمات

يا واهبَ الأَرزاق

يا صاحبَ النَّصيب »

ودَقَّ عُكّازُ الضَّريرِ بائعِ النَّصيب

شوارعَ المدينةِ المبهورةِ الأَنْفاس

فلم تَقَعْ عليه عَين

وما انحَنَى شُعاع

الشيخ والقيثار

الأَرضُ لم تزَلْ بِهِمْ تدُور
أَشْرِبَةٌ ، مَوائِدٌ ، عُطُور
وخُطْوَةُ السَّاقِي الصَّغيرِ لاَ تَمَلُّ لا تثُور
« سَيِّدتى ، ما شِئْتِ فى يدَيْكْ

المَجْدُ لِلْجَمالِ ، لِلرَّبيعِ ، لَكْ »

* * *

في لَيْلِ مَايُو يَسْهَرُ العُشَّاق

وتَلْتَقِي في المَشْرَبِ الأَشْواق

مَباسِمٌ ، قَلائِدٌ ، نُحُور

وَدَقَّةُ السَّاقِ الطَّرُوبِ ، والجَسَد

يَرْغَبُ . والأَضْواءُ تَحْجُبُ القَمَر

والأَرْضُ لَمْ تَزَلْ لَهُم تَدُور

* * *

كطَائِرٍ مِن عالَمٍ مَهْجُور

جَناحُهُ سَحابَةٌ بيضاءُ فَوْقَ تَلٍّ نار

الشَّيخُ جَاءَ يَحْمِلُ القيثار

فالنَّاعِمُونَ يَأْنَسُونَ بالوَتَر

والـكَأْسُ تَحلُو بالنَّغَم

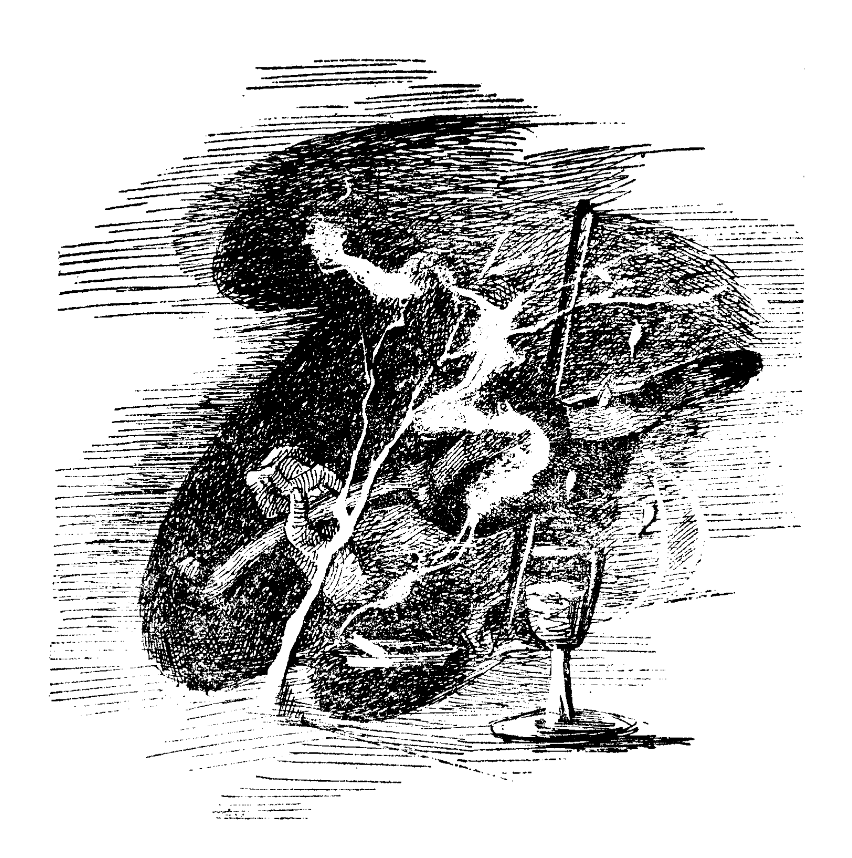
والصَّدْرُ والعَيْنانِ والدَمِ
تَرِفُّ ، تَنْثَنِي ، تَضُمُّها قُبَل
تَذُوبُ ، تَشْتَعِل

* * *

« أَوَّاهُ ، ما أَحْلَى النَّغَم
لَـكِنَّهُ حَزِينْ
ولَيْلُ مَايو لَيْسَ يَعْرِفُ الأَلَم
مِن أَيْنَ جاء صاحِبُ النَّغَم ؟ »

* * *

« سَيِّدَتِي ، ما شِئْتِ في يَدَيْكْ
المَجْدُ للجَمالِ ، لِلرَّبيعِ ، لَكْ
لَـكِنَّما بالبَابِ عازِفٌ فَقِير
يُهْدِي إِلَيْنا لَحْنَهُ الصَغِير



سَيِّدتِى ، ماذا ترَى فى الشَّيخِ والقيثار ؟ »
وامْتَدَّتْ الأَيْدِى جميعًا تُغْلِقُ الأبْواب
مُنْذُ أَشارَتْ كالنَّسيمِ أَنْمُلَه :
« اللَّحْنُ أَصْفَى مِن بَعيد ! »

قطرة حب..

فِي المَشْرَبِ لاَقَيْتُ رِفَاقِي اللَّيْلَه
كانتْ أَعْيُنُهُم تَشْــــدو بالحُب
نَجْواهُمْ مِنْ ذَوْبِ القَلْب
كانُوا مِنْ عُشَّــاقِ الإنسان

صُنَّاع مشَاعِلَ فى ليْـــلِ الشُّرَفاء
رُوَّاد صِرَاعٍ فَوقَ الأَنْوَاء
شُعَراء ، كُتَّاب

* * *

لَمْ يَعْرِفْنى الأَصْحاب
غَاصُوا بالأَعْيُنِ بَيْنَ ضُلوعِى
حَسَرَتْ مَوْجَتُهمْ ظِلَّ دُموعِى
قَالُوا ما أَشْقَى الطَّائِر
فى شَرَكِ الظُّلُمـــــات
لَـكِنَّ جَناح الشَّاعِـــــر
يَضْرِبُ فوقَ المَأْسَـــاةِ
يَعْصِرُهَـــــا لا تَعْتَصِرُه
يُضْرِمُ فِيهـــــا جَمْرَه

لا يُسْلِمُ دُنْياها عُمْرَه

* * *

نَثَرُوا حَوْلِيَ أَزْهارَ السَّلْوَى

رَفَّتْ أُمْنِيَةً ، ذَابَتْ شَجْوَا

غَنَّوا أَشْعَارِي

شَرِبُوا نَخْبَ نَشِيدِي لِلْحُرِّيَّةْ

واخْتَلَجَتْ أَجْفَانِي عَنْ دَمْعَه

جَفَّتْ لَوْعَتُهَا فِي الآمَاق

لَمْ يَلْمَحْهَا الأَصْحَاب

وانْطَفَأَتْ شَمْعَه

يا وَيْلِي

كانت آخرَ شَمْعَه

تَسكُبُ في قلْبِي الإشْرَاق

تُومِضُ للأَحْبَـــــاب

* * *

يا رُفقَـــــــاء

إنِّي أَسْمَعُ خَلْفَ ضَبَابِ الفَجْر

أُغْنِيَةَ العُصْفُورِ الأَخْضَر

يَشْدُو لِلعَالَمِ ، كُلِّ العَالَم

يَسْقِي المَحْرُومِينَ الفَرْحَــــهْ

يَحْتَضِنُ الدُّنْيا في لَمْحَــــه

إنْ تَغْرُبْ في يَبْتِي شَمْسُ الحُب

لا تَأْسَوْا يا أَهْـــلَ الوُد

وإذا ما انْتَفَضَتْ في الغَد

أَنْهارُ سَـــــلامٍ لِلبَشَرِيَّهْ
وانْهارَتْ أَحــــزانُ الشَّعْب
فلْيَذْكُرْني عُشَّاقُ الحُرِّيَّهْ
ولْتَغْمُرْني قَطْرَةُ حُب

غياب ..

عِشْرُونَ صَبـــاحًا
مرَّتْ لَمْ يَتَفَتَّحْ وَرْدْ
لَمْ يَخْفِقْ فى أَيْدِى أُمٍّ مَهْــدْ
تَحْتَ جَلِيدِ النَّهْرِ الزَّهْرُ يَنَـــام

وتَدِبُّ عَلَى الشَّاطِيءِ أَقْـــــدام
كُلَّ صَبـــــاحٍ دَقَّتُهَا
تَطْرُقُ أَبوابَ الحُـــــب
تُورِقُ أَعْشـــــاباً صَفْراء
فَوْقَ رَمَـــــادِ القَلْبْ

* * *

مَحْبُوبى سَارَ وَحِيـــداً فَوْقَ الدَّرْب
والدَّرْبُ تُجَلِّلُهُ الأَشْـــــوَاك
وَلَّى مِنْ غَـــــيْرِ وَدَاع
أَسْرَجَ مِصْباحِى مِنْ عَيْنَيْـــــه
وَوِسَادِى مِنْ نَسْـــجِ يدَيْهْ
وَمَعَ الفَجْرِ مَضَى فَوْقَ الشَّوْك
يَا وَيْلِى ، غَام صَبـــــاحِى

النَّهْرُ جَلِيدٌ ، والزَّهْرُ حُطام

* * *

عِشْرُونَ صَبَـــاحًا

مَرَّتْ لَمْ يَتَفَتَّـــحْ وَرْد

لَمْ يَخْفِقْ فى أَيْدِى أُمٍّ مَهْد

لَمْ يُسْرَجْ لِى مِصْبَـــاح

لَمْ يَخْطِرْ ثَوْبُ المَحْبُوب

تَرْقُبُ عَيْنَـــاهُ مِيعادِى

وَيُسَوِّى بالحُبِّ وِسَادِى

* * *

يا عَيْـــنِى

مَرَّتْ عِشْرُونَ صَبَـــاحًا

لَـكِنْ قد يَأْتِى المَحْبُوب

فى ساعَةِ صَفْوٍ مَوْعُــــود

يَسْرِجُ مِصْبَــــاحِى

يَأْسُو فى اللَّيــلِ جِراحى

فَلَقَدْ دَقَّتْ يُمْناهُ بابَ الحُبِّ

وَسَمِعْتُ اليومَ خُطَاه تَطْرُقُ قَلبِى

خيمة الخريف

ما زِلْتَ تَهْوَانِي
حَقّاً ، فَأَيْنَ لَمْسَةُ الحَنَان
ولَثْمَةُ الجَبِينِ ساعَةَ الرُّقَاد ؟
ساعَتُنا تَدُقُّ نِصْفَ اللَّيل

وَنَامَ طِفْـــــلانا
وَلَمْ تَبُحْ بالحُبِّ عَيْنانا
وأَنْتَ لمْ تَزَلْ مُسَهَّدَ العُيُون
يَغِيمُ فى مِرْآتِكَ الظِّلُّ
سبتمبرُ الكَئِيبُ واللَّيْلُ
تُرَى شَجَاكَ مَقْدَمُ الخَرِيف
أَشْبَاحُهُ مَقْرُورةُ الطُّيُوف
أَنْفاسُه ، نَسِيمُهُ العـــانى
تَذُوبُ فى عُيون سَهْرانِ
وتُوقِدُ الرَّمادَ فى الضُّلُوع ؟
أَطْفِئْ مَجَامِرَ السُّهَاد
فأَجْمَلُ الأَحْـــلام
فى هَدْأَةِ المَنـــام

أَنْعِمْ مساءً يا حَبِيبِي

حَبِيبتِي ، أُغْنِيَةُ الكَنَارِ قد تَغِيب

في وَحْشَةِ الدُّرُوب

وقد يَطُولُ لَيلُهُ الحَزِين

فلا تَقُولِي عَانَقَ النِّسْيَان

فُؤادَ مَحْبُوبِي

فَفِي سمائِنا الضَّحُوكِ يا حَبِيبتي

يُهَوِّم الخَرِيفُ بالغِرْبَان

وَتَرْتَقِي شُرْفَتَنَا عُيُون

تُخَالِسُ النَّسِيمَ هَمْسَنَا

وتُسْدِلُ الظَّلَامَ حَوْلَنَا

يا وَيْلَ شَادِيكِ الحَبِيب

تُنَقِّرُ الغِرْبَانُ عُشَّهُ الصَّغِير

وتوصدُ العيُونُ دُونَهُ الطَّريق
تخافُ وَمْضَهَ الشُّرُوق
أَنْ تُسْقِطَ القِنَاعَ عن ضَميرِها الشِّرِّير
والفَجْرَ أَنْ يُوَقِّعَ الغِنَاءَ فى القُلُوب

* * *

حَبيبتى كَنارُكِ الحزينُ لَنْ يَغِيب
هُتافُهُ الطَّرُوب
ولَنْ يَطُولَ لَيْلُهُ الكَئِيب
فالشَّمْسُ خَلْفَ أُفْقِنا تَدُور
تَشُقُّ غَيْمَةَ الخَرِيف
لِتَلْتَقِى بطَيْرِها الأَسير
وَتنفُضَ السُّهادَ عن فُؤَادِهِ القَرير
حَبيبتى هَلْ تَسْمَعِين

أُغرودَةَ الكَنارِ فى القِمَم
وصَيْحَـــةَ الغِرْبَانِ والعُيُون
تَهْوِى إِلى قاعِ العَدَم
حَبِيبَتى لِتَنْعَمِى مَساء
سَيُشْرِقُ الصَّبــــاحُ بَعْدَ حِين

غيمة الربيع

مَتَى أَهَلَّتْ طَلْعَةُ الرَّبيع ... ؟
فَقَدْ دَنا نَسِيمَه الرَّطِيب
وَرقْرَقَ الغَـــدِير
وفى مَدِينَــةِ الشَّمال

كلُّ فتاةٍ في ذراعِ فارسٍ صغير
عَلَى مَوانئ البِحار
وارْتفقَتْ عجائزٌ مشارفَ التِّلال
والشمسُ يَغمُرُ العيُونَ وهْجُها الوَديع
وانْطَلَقتْ عَرائِسُ الجَنُوبِ تَسْتَحِمُّ في الظِّلال
وفي مَدينَتِي تَفَتَّحت زُهـــور
وغادَرَتْ مُهودَها الأَطفال
حتَّى جَنادِبُ الحُقـــول غرَّدَتْ عَلَى المِياه
ما أَبْهَجَ الوُجــــود
لا غَيْمَ ، لا رياحَ تحصِبُ الدِّيار
لكنَّما سحابَةٌ عَلَى الجِبَـــاه
دَكْناءُ في جَهامَةِ الجَليـد
لا نَوْءَ ، لا غُبَـــار

لا ظِلٌّ يَحْجُبُ النَّهار
مِنْ أَينَ جاءَتْ غَيْمَةُ الرَّبيع ؟
كُلُّ الوُجوهِ غضَّنَتْها غَيْمَةٌ صَفْراء
كأنَّها ما فارَقتْ شِتاء
ومِعوَلُ الحَصادِ فى المُروج يَقْطُفُ الوُرود
والأُمَّهاتُ أَعْيُنٌ عَلَى الصِّغارِ لَحْظُها شُرود
ما أَبْهَجَ الوُجود
لولا يدٌ تَمْتَدُّ فى الظَّلام
لِتَسْرِقَ الأَحْلام

أنشودة العودة

[إلى رفاقى صناع الكلمة الشرفاء الذين كرمونى غداة صدور ديوانى الأول من وحى بورسعيد فى سنة ١٩٥٧]

اللَّيْلَةَ مَوْعِدُ أَحْبَابِى
إِنِّى أَنْتَظِرُ
والوَجْدُ يُسَهِّدُ أَجْفَانِى
صَبْرًا يا قَلْبِي

ما زالَ الرَّكْبُ عَلَى الدَّرْبِ
يَحْدو أَشواقِيَ بالحُبِّ
لا تَهْتِفْ باللَّحْنِ الشَّاجِي
أَوْقِدْ شَمْعَه
فَالرِّيحُ مِنَ الشَّرْقِ عَلَى بَابِي
تُلْقِي ما حَمَّلَها أَصْحابِي
كَنْزًا مِنْ أَنْفاسٍ عَطِرَه

* * *

الخُطْوَةُ أُمْنِيَةٌ حُلْوَه
والضِّحْكَةُ لِرِفَاقِي
والخَفْقَةُ فى صَدْرِى غُنْوَه
تَنْسِجُ لى أَفْراحَ العَوْده

فالليْلةُ موْعِد أَحْبَـابِي

* * *

الأيْدِي تَمتَدُّ فتُزْهِر
فى رُوحِي أَغْصانٌ من وَرْد
ويُغَنِّى عُصفُوري الأَخْضَر
أَحْــلامَ الغَـد

* * *

مَرْحَى يا رُفقائي
يا عُشَّاقَ الإنسان
الرِّحْلَةُ كانت قَبْلَ الفجر
والقمَرُ السَّارِى لم يُسْفِر
عن وَجْـهِ صَدِيق
وحَملتُمْ مأساةَ اللَّيـل

إنِّى أعلَـــمْ

أَلْمَحُ فى الوَجْهِ نِثَارَ غُبَار

وعَلَى المنكَبِ من أَطْبَاقِ الغَيْم

بَعْضَ رَمَـــاد

دَمِيَتْ أَقدامٌ تَصْعَدُ فَوْقَ السَّفْح

والسَّفْحُ تُجَلِّلُه الأَشْواك

وَبلَوْتُمْ ما صَنَعَ الوَيْل

إنِّى أَعرِفُهَـــا

أَشْباحًا خَائِنَةَ الأَعْيُن

كَمْ غَرَسَتْ شَوْكَ الحِقْدِ الأَسْوَد

فى القَاعِ عَلَى دَرَجِ السَّفْح

حتَّى القِمَّـــه

* * *

هَا قَدْ عُدْنا

أَمْ يَكْذِبْ رائِدُنَا اللَّمَّاح

لَمَّا أَذَّنَ إِنَّ الفَجْرَ عَلَى الأَبْواب

والجَبَلَ الصَّاعِدَ فى شُرُفاتِ الأُفُق

دِرْعٌ لِمَدِينَتِنَا السَّمْراء

فى مَهْدِ الوَادِى تَحْتَ ذِراعِ النَّهْر

مَرْحَى يا رُفَقائِى مَرْحَى

العَوْدُ حَمِيد

أَيْدِيكُمْ يَغْمُرُها ظِلُّ البَيْدَر

وتُضِيءُ الأَوْجُه

وعَبِيرُ الأَرْضِ الفَاغِمُ يَسْبِي الرُّوح

إِنْ تُخْلِفْ أَشْوَاكُ الحِقْدِ الهَاوِى

بَعْضَ جِراح

لا ضَيْر
فَلْتَبْقَ عَذَاباتُ الرِّحْلَه
تَذْكَارًا للانْسَان الصَّاعد

* * *

العَوْدُ حَمِيدٌ يا عُشَّاقَ الإِنْسَان
يا صُنَّاعَ الكَلِمَه
غَنُّوا الشَّمْسَ عَلَى أَبْيات الأَحْرار
غَنُّوها فِي عَيْنِ مَدِينَتِنا
وعُيُونِ الأَحْبَابِ الشُّرَفاء
فى عالَمِنا الآتِي الأَكْبَر
غَنُّوا ، لَنْ يَفْنَى سِحْرُ الكَلِمه
غَنُّوا ، فاللَّيلَةُ مَوْعِدُ أَحْبَابِى

كلمة حب ..

مَلاَّحٌ فَوْقَ عُبابِ الأَمْواج
يُبْحِرُ فى زَوْرَقِهِ كُلَّ نَهَار
يُودِعُهُ أَحْلامَ صِغَار
فى عُمْرِ الوَرْد

طَلْعَتُهُ حُلْمٌ بالغَــد
واللَّحْظُ شُـعَاع
يَقْتَحِمُ العاصِفَةَ بِصَدْرٍ عارٍ
إلاَّ مِنْ نَبضاتِ الحُبّ
والنَّوءُ العَاتِي أَلْفُ ذِراع
تأْسِرُهُ . . تجْذِبُهُ
لَـكِنْ لا يَهْوِى
لا يَهْوِى لِلْقَــاع

* * *

كُلَّ مَساءٍ يَرْجِـعُ مَكْسُورَ القَلْب
يَمْلأُ جُعْبَتَهُ قَبْضَ الرِّيح
وأَحادِيثَ رِجالٍ جُوف
أَلْفُ لِسانٍ مَمْسُولٍ يَدْعُو

يُغْرِى بالاصْدافِ عَلَى القَاع
لـكِنْ لا يَهْوِى
أَبَدًا فوقَ غِمَارِ الأَمواج
لا يَسْــــلُو
رغْمَ تَهاوِى رُفقاءٍ فى الرَّكْب
بَيْنَ شِباكِ النَّوْءِ العَاصِف
لم يَلقَفْهُ القَـاع
لم يَجْرِفْهُ المَدُّ الزَّاحِف
ومَضَى يَضْرِبُ فى الآفاق
يَرْثِى للعُشَّـاق
ويَبُثُّ الأَشْواق
هَيْمَانَ عَلَى رُؤْيا العَوْده
رَفَّتْ فى موَّالٍ أَخْضَر :

كَلِمَةُ حُبٍّ تأسُو جُرْحا
تَملأُ قَلْبَ العالَمِ فَرْحا
ما أَحْلَى تَذْكارَ العَوْده

* * *

العالَمُ يَرْتقِبُ القَمَرَ الصّاعد
يَهْتِكُ ظُلُماتِ الغَيْب
والمَوْجَةُ تَنْحَسِرُ عنِ الشُّطآن
ويَعُودُ المَلاَّح
يَحْكِي قِصَّةَ عُصْفُورَيْن
ضَلَّا فى العاصِفةِ الهَوْجاء
خاضَا المِحْنَةَ بجَنَاحَيْن
فوقَ الأَنْواءِ جَرِيحَيْن
لكِنْ ما افْتَرقا

ما هَوِيا لِلْقَاع
هاما في رُؤْيا العَوْدَه
رَفَّتْ في مَوّالٍ أَخْضَر :
كَلِمَةُ حُبٍّ تَأْسُو جُرْحا
تَملأُ قَلْبَ العالَمِ فَرْحا
ما أَحلَى تَذكارَ العَوْده

العبيد والظلال

عَلَى جَنَاحَىْ غَيْمَةِ المَساء
مَضَى يَشُقُّ أَبْحُــرَ الهُمــوم
يَحْمِلُ للأَحْبَابِ باقَــةَ الأَمَــل
والجُرْحُ فى فُؤَادِهِ لَمْ يَنْدَمِل

مُنذُ تَوَلَّى حُلْمُهُ القَدِيم

* * *

رَأَيْتُهُ يُسابِقُ السَّحَاب
عَيْنَاهُ بالحَنِينِ تَهْتِكُ السِّتَار
لِتَجْتَلِي مَلامِحَ الأَحبَاب
تُضِيءُ فى مَسْراه كالنُّجُوم
وفى يَدَيْهِ باقَةُ التَذْكار
يَسْبِقُهُ عَبِيرُها الفَوَّاح
فقَدْ جَنَى وُرُودَهَا من أَرْضِهِم
ولَم يَزَلْ عَلَى الضِّفافِ غَرْسُهُم
تَحْصُدُهُ طَلائِعُ الرِّجال

* * *

وحِينَما ارْتَمى عَلَى الأَعْتَاب

هَوَى شُعاعُ الوَرْدِ من يَدَيْه
واغْرَوْرَقَتَ عَيْنَـاهُ بالعَذاب
يا وَيْلَهُ مِن طَارِقِ الظَّـلام
يُغَلِّفُ التَذْكارَ بالسَّواد
فَلا يَرى بَهـاءَهُ الصِّحاب

* * *

كَذَارِىَ الحَزِينَ لَنْ يَضِيع
تَذْكارُكَ المَشُوقُ للأَحْباب
فلَمْ يَزَلْ عَبِيرُهُمْ يَضُوع
فى وَرْدِهِ أَقْوَى من الظِّلال
ولَمْ يَزَلْ عَلَى الضِّفافِ غَرْسُهُم
تَحْصُدُهُ طَلائِـعُ الرِّجال

في ليلة عيد الميلاد

سَبْعَةُ رُفَقَــاءِ

هَامُوا مِنْ غَيْرِ عَزاءِ

فَوْقَ ضِفافِ اللَّيْــلْ

إلاَّ دِفْءَ الأَنفاسِ

تُومِضُ كالحُرَّاسِ
يَطويها الظلُّ
لكِنْ ما ضَلوا
ما افْتَرَقُوا
شَرِبُوا واعْتَنَقُوا
فى لَيْلَةِ عيدِ الميلاد
وتَغَنَّوْا فى خَفْقَةِ حُب
أُغْنِيَةً للإنسانِ العَانى
مَغْصُوباً فى كَهْفِ الإنسانِ
يُطْعَمُ من صَدَأِ الأَصْفاد
واجْتاحَتْهُمْ ذِكْرَى الأحْزَانِ
إعْصارًا يَقْتَلِعُ القَلْب
وجْدًا أَسْرَجَ كُلَّ دُمُوعِ الوَيْل

أَطْفَأَ كُلَّ شُمُوعِ اللَّيْل
أَطْفَأَها لم يُبْقَ سِوَى شَمْعَه
بيْنَ حَنايا الصَّدْر
قَالُوا مَنْ يَحْمِلُها ، يُشْعِلُها
فى أَعْلَى أَسْوارِ القَلْعَه
لِتُنِيرَ لأَقْدامِ الفَجْر
مَنْ يَحْمِلُها
مَهْما أَضْنَتْهُ اللَّوْعَه
لا يَسْكُبُ دَمْعَه
بل يَمْضِى يَقْتَلِعُ الذُّعْر
مَنْ يُشْعِلُها
مهما احْتَرَقَتْ كَفَّاه
مَهْمَا أَرِقَتْ عَيْناه

وَيُغَنِّى أُغْنِيَةَ النَّصْر

فى لَيْلَةِ عِيدِ المِيلاد

مَنْ يَسْتَخْفِى مِن وَجْهِ الرِّيح

كَىْ يُوقِدَها ذاتَ مَساء

فى صَدَأِ الأَصْفاد

قالَ الشّاعِرُ يا رُفَقاء

إِنِّى أَعْرِفُهُ

يَأْتِى فَوْقَ جَوادِ المَغْرِب

فى غَبَش الفَجْر

فَيَهُزُّ المَشْرِق

خُطْوَتُهُ مَجْلَى النُّور

نَظْرَتُه سَهْمٌ مَسْحُور

جَبْهَتُهُ إِكْلِيلُ الشَّوْك

إنسانٌ عِملاقٌ يَخْضِبُ عَيْنَيْهِ الدَّم
ويُغَمْغِمُ في حُلْم
طُوبَى الإِنْسانِ العَانِي
يَخْرُجُ مِنْ قاعِ الأَحْزانِ
في يَدِهِ شَمْعَه
يُوقِدُها رَغْمَ الرِّيح
لِتنيرَ لِأَقدامِ الفَجْر
ولِتَصْهَرَ صَدَأَ الأَصفاد
في لَيْلَةِ عِيدِ المِيلاد

رؤيا

مِنْ أَيْنَ جَاء . . . ؟
هَـذا الصَّدَى مِنْ وَقْعِ خُطْوَتِهِ
يَعرِفُه الفُؤادُ مِن قَـدِيم
تَشتاقُه الأُمُّ العَقِـيم

ما لَوْنُ عَيْنَيْه

رِدائِهِ ، جَوادِهِ
وما الذى يَحمِلُهُ فى جُعْبَتِه ؟
يا لَيْتَنا نَلقاهُ فى هذَا المَساء
ونملأُ العُيونَ من شُعاعَةِ الجَبين
ويا صَبايا الحَىِّ إنْ تَرَيْنَهُ
تَوِّجْنَ بالوُرود هامَتَهُ
واسْكُبْنَ حَوْلَه عَبيرَ الياسَمين
الفارسُ الجَميلُ جاء . . .

* * *

لا . . . لَمْ يَجِئْ
ولم يَحِنْ لَه مَآب
ما زالَ مُسْتَخْفِياً عَنِ العُيون

يَسْبَحُ في غَمامةٍ من الظُّنُون

* * *

يا طُولَ ما عانَتْ أَرَاضِينا

واحْتَرَقَتْ شَوْقاً أَغانِينا

وكُلَّما دَنا المَساء

يَضُمُّ شَمْلَنا الجَمِيع

لاذَتْ بهِ القُلوبُ خِيفَةَ النَّهارِ والعُيون

آنَ أَوانُ الجُرْحِ أَنْ يَجِف

وأَعْيُنِ الأَطفالِ أَن تُضِيءَ ، والمَطَر

يَسْقِي الصَّحَارى . . .

متى تَهِلُّ طَلْعَتُهُ

لِتَنْجَلِي قَبْلَ الرَّحِيل

سِحْرَ اللَّيالى المُثقَلاتِ بالحَنين
ومَوْكِبَ الطَّيْرِ المُغَنِّى والدَّليل
يا لَيْلُ طابَت سَهْرَةُ الرَّبيع
يا عينُ لَن تَزُورَكِ الدُّموع
الفارسُ القَديمُ عاد . . .

* * *

لا . . . لَمْ يَجِئْ
ولم يَحِنْ لهُ مآب
ما زالَ مُسْتَخْفِياً عنِ العُيون
يَسبحُ فى غَمامَةٍ من الظُّنُون

* * *

لا تَصْدَحِ الأَجراسْ

ولْيَصْمُتِ البشيرُ . . . لا
تهزِجْ صَبَايا الحَيِّ بالنَّشِيد
ولْتَرقُبِ النِّساءُ مَطلعَ القَمر
عَلَى أَسارِيرِ الصِّغَار
لا . . . لم يَجِئْ
ولم يَحِنْ له مآب
ما زال يَخْطُو زاحِفاً عَلَى الظَّلام
مكبَّلاً مُجرَّحَ الجَبين
اللَّيْلُ أَوْصَدَ الطَّريق
سدَّ الفِجاجَ كُلَّها
وأَشعلَ الحَريق
يا ويلتا لِلفارسِ النَّبِيل

يَشُقُّ فوقَ النّـارِ مَسْراهُ

تَغيمُ بَيْنَ السُّحْبِ عيناهُ

يمُدُّ للأَحبـابِ يُمناهُ

يا مَنْ يُجِـيرُ الفـارِسَ النَّبيل

يا مَنْ يُجِـيرُ الفـارِسَ النَّبيل

مولد نجم ..

[أغنية إلى ولدى هشام]

النَّجمُ يَحكِى طَلْعَةَ الوَليد
والوَرْدُ يَفتَحُ الجُفون
وتُومِضُ العُيون
وتَختَفِي غياهِبُ الجِدار

لا ظِلَّ يحجُبُ النَّهار

عَن مُقلتَيْ هِشام

وتَسكُنُ الأَنَاتُ خلفَ غُرْفةِ المِهاد

تَخَطَّرِي عرائِسَ الميلاد

تَخطَّرِي أُمُومةً وطِفْل

وفَرْحةً تَنسابُ أغنيه

ورِحْلةً إلى القَمَر (١)

تَضُمُّ ألفَ أمْنيَه

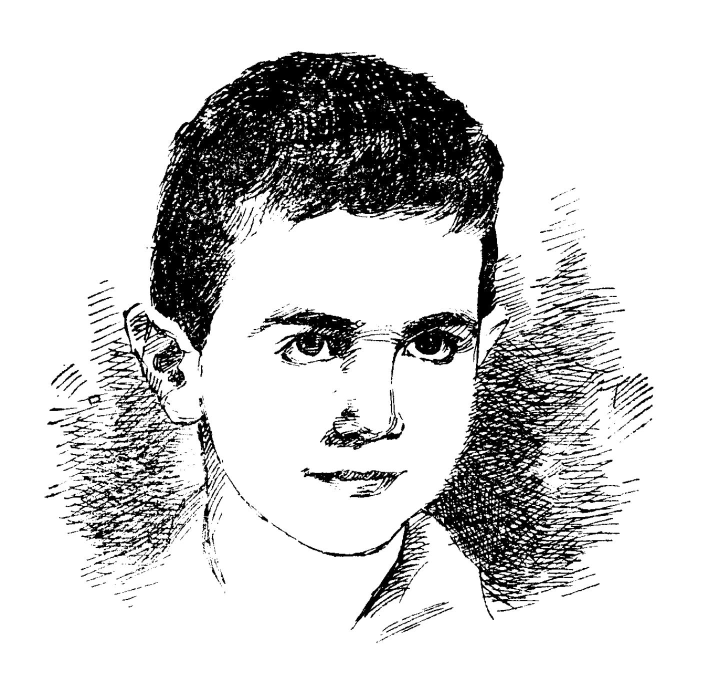
وبيننا على الهَوى ميعاد

أَعلامُنا هُنا ، هناك

وفي جبينِكَ الصَّغيرِ ظِلُّها الوَضِيء

---

(١) ولد هشام في ٤ أكتوبر ١٩٥٧ تاريخ إطلاق القمر « سبوتنيك » أول تجربة في غزو الفضاء وفتح آفاق جديدة أمام الإنسان في مجال الكشوف العلمية .



يَرِفُّ يا هِشـــام
وتَفْرِشُ الطَّرِيقَ وردَةُ السَّلام

* * *

مِنْ أَجْلِ مُقْلَتَيْكَ يا هِشام
نُرِيقُ فى الظَّلامِ دَمْعةَ العَناء
نَعُبُّ مِن مَرارةِ الصِّراع
ونلتقِى عَلَى الطَّرِيقِ صَخْرَةً
تَرُدُّ عادِىَ الضَّياع
ونَسفَحُ الأَحلامَ فى مَخادِع العطور
واللَّيلَ فى وسادةِ الوُرودِ تحتَ أَعْيُنِ الظِّلال
مِن أَجلِ أَن نراكَ قُرَّةَ العيُون
فى عالَمٍ سماؤُهُ زُهور
وأَرضُـهُ أَطفَـال

يا لَيْتَنـا نَحْـسَي

نعيشُ يا هِشام

لِعَصْرِكَ الضَّحُوكِ بالأَنغـام

لِعَصْرِكَ الْمُحَطِّمِ الهُمُومَ والأحزان

القاهرِ الغُيوبَ للإنْسان

لِعَصْرِكَ الّذي ينَـام

فى صَدرِهِ الطَّريدُ بينَ رُفْقَةٍ ودار

يا لَيْتَنا نَدعُـوه أَن يُجيب

فلا يَضِنُّ بالجَوَاب

ونَشْهَدُ انْطِفَاءَةَ المَأْسَاه

تَذُوبُ ، تَخْتَفِى منْ العُيُون

تَمُوتُ فى الشِّفَاه

وتُسْدِلُ السِّتَارَ خلف ظِلِّها الـكَئيب

* * *

يا لَيْتَنــا نُعــانِقُ الحَيــاه

فى مَوْكِبِ الأَجْيالِ حِينَ تَرْفَعُ الأَعْـلام

وتَنْشُرُ الشِّرَاعَ عَبْرَ عالَمٍ جَدِيد

تَحِيَّـــــةً لِنَجْمِها السَّعِيد

يا لَيْتَنـا نَحْـيَى

نَعيشُ يا هِشَـــــام

لِنَشْهَدَ انْتِفَاضَـةَ الزّمان

عَنْ مَــــوْلِدِ الإنْسان

أغنية من بورسعيد

[في بورسعيد ، حيث تلتقي بلادنا بالعالم عبر القناة ، تعيش فئة « البمبوطية » على بيع التحف والسلع في قواربها الصغيرة إلى ركاب السفن في أثناء رسوها. وقد سجل هؤلاء الأبناء في معركة السويس أروع صفحات التضحية لوطنهم والفخار لأمتهم ، فإليهم أهدي هذه القصيدة]

أَيْدِيهِمْ ما زالتْ تَمْتَـد
تَنْقَضُّ نُسورًا ، تَرْتَـد
لَـكِنْ لا تَهْوِى
تَطْفُو فوقَ عُبَـاب المَد

صامِدَةً ، صاعِدَةً ، تُنْشِد
لَحْنَ جُـدودٍ مَغْمُورين
عُمَّـالٍ ، صيَّـادِين
عاشُوا ، ماتوا ، فى البَحْر
تتلاقَى أَفْواجًا تُولَد
فى غَبَشِ الفَجْـــر
تَحْدُو قاربَها فى الظُّلْمَةْ
وتَشُدُّ الحَبْلَ إلى كُلِّ سَفِين
لتُصِيبَ اللُّقْمَـةْ
فالصَّائِدُ يَجْتَذِبُ الشَّبَـكَةَ عُرْيان
لَـكِنْ ليسَ يَمُدُّ الـكَف
ويُغَـنِّى المَكْتوبَ عَلَى كُلِّ جَبِين

* * *

باحت أُغنيَـةٌ بالسِّر
والرُّفْقَةُ تَغْدُو لِلشَّطِّ الأَزْرَق :
البَحْرُ صَـدِيقُ العُمْر
والطَّـيْرُ يُحَـيِّي الفَجْرَ عَلَى المَشْرِق
لــكِنْ كَيْفَ نُلاقِي رَكْبَ البَحْر!
أَعْيُنُهُمُ تَرْمُقُنا فوقَ الأَنْواء
وسفائِنُهُم عَـبْرَ قَناةِ الأَجْـداد
أَطفـالٌ وجُنـودٌ ونِساء
بِتْرُولٌ وعتـــاد
جَاءُوا مِنْ أَقْصَى الأَرْض
ولدَيْنا أَشْيَاءُ صَغِيره
كنزٌ للشَّارِى فى رِحْلَتِهِ
تَذْكارٌ فى عَوْدَتِهِ

أَيْدٍ وحِبَالٌ ، تَعْلُو ، تتهاوَى
إِنَّا نَعْرِفُ لُغَـةَ القَـوْم
والشَّرْقُ يُلاقِي الغَرْبَ عَلَى كُلِّ طَرِيق
قد نُغْـبَنُ فى الصَّفْقَةِ حِيناً
لـكنَّا نَحْمِلُ سِرَّ العالَم
لا يَقْهَرُنا الطّوفان

* * *

عادُوا مَضْمُومِي الأَيدِى ، والبَاخِرَةُ تَسِير
والأَولادُ يَصِيحونَ بتَرْنِيمةِ حُب
— تُشْجِي أُخْتاً وقَفَتْ فى بابِ الدَّرْب —
والخَطْوُ يَطِيرُ حَنِيناً يَسْبِقُ طَيْرَ المَغْرِب
جَفَّتْ أَحزانُ القَلْب
مُنذُ تَوَلَّى القُرْصان

أَشْلاءً فى القـاعِ المُعْتِمِ
لَمْ يطْفُ عَلى وَجْهِ البَحْرِ قَتِيل
لَمْ يَحْمِلْ أَحَدُهُمُ الآخرَ والجُرحُ يَسيل
لَمْ يُغْلَقْ بيْت
وقَنَاةُ الأجْدادِ تَفِيضُ سَلاماً للإنْسان
والشَّرْقُ يُلاقِي الغَرْب
عادُوا أَفْواجاً تَطْرُقُ بابَ الغَد
تَحْـدو قاربَها فى الظُّلْمهْ
وتَشُدُّ الحَبْلَ إلى كُلِّ سَفِين
فَتُصِيبُ اللُّقْمَـهْ

مدينتي .. أعيادها

[من وحي مؤتمر القاهرة للشعوب الأسيوية والإفريقية حيث اجتمع ممثلو دول القارتين في المدة من ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٥٧ إلى أول يناير ١٩٥٨ لبحث المسائل الدولية عامة مع العناية بالقضايا التي تهم الشعوب الأسيوية الإفريقية واستعراض المشكلات الاجتماعية والسياسية التي تواجه شعوبهم . ويعد هذا الاجتماع امتداداً لمؤتمر باندونج الذي انعقد في إبريل ١٩٥٥ وكانت أهم قراراته التضامن في مقاومة الاستعمار ونزع السلاح وتحريم الأسلحة الذرية]

« لا مَوتَ بَعْـدَ اليَـوم
لا طِفـلَ يَحـتَرِق
لا نارَ ، لا غُبـارَ ، لا دَمار

لِتَنْطَلِقْ مَواكِبُ الجُموعِ في شَواطِئِ البحار
لِتَتَّحِدْ مَنابِعُ الأَنْهار
ويُولَدِ ابْنُ الأَرضِ مِنْ جَديد
مَدِينَـتِي
تَفَتَّحتْ كُلُّ الزُّهور
وكُلُّ أُمٍّ وَدَّعَت رِفاق
لِيَلْتَقُوا في ظِلِّكَ العِمْلاق
وعانَقَتْ سَماءَكَ الأَعْـلام
والأرضُ تحتَ وابِلِ الأَقـدام
تَصِيحُ بالأحرارِ لنْ تَعُود
أُسْطورة العَبِيـد
واشْتَبَكَتْ سَواعِدُ الشُّعوب
مَدِينَـتِي

يا مُلْتَقَى الحَياةِ بالإنسان
رِياحُ آسيا تَحْمِلُ العَبيرَ والثِّمار
رِياحُ آسيا في الطَّريق
لَنْ يَرْجِعَ القُرْصان
عِظامُهُ كفَّنَها الجَليد
ثَوَتْ بِلا وَداع
بِلا قَرابينَ . . بِلا وُرُود
وفي نَوافِذِ الجَنُوب
وَجْهُ غُلامٍ أَسْوَدٍ صَبُوح
يَدُقُّ بابَ الشَّرقِ لِلجُموع
ويَمْسَحُ الدُّمُوع
ودَوَّتْ الغاباتُ والأَنْهارُ والجِبال
بِلَعْنَةِ الحَياةِ لِلبُغاه

وصَيْحَةِ السَّجينِ بالجَــلَّاد
واحْتَرقَتْ مَناجِمٌ منَ الغَضَب
والمَوْتُ كالإعْصَارِ ، كاللَّهَب
يَذْرُو معَاقِلَ الطغَـاه
وَيَصْهَرُ الأغْــلالَ والحُجُب
مادَ السَّفِينُ فى الخِضَم
وانْفَجَرَ البُركانُ بالحِمَم
يَهْـدِرُ كالنَّـذِير :
إفْرِيقيـا تَمَرَّدَت
إفْرِيقيـا تَثُــور
وخَضَّبَ المِيَاهَ طائِرٌ جَرِيح
نَمَتْ عَلَى دِمائِهِ البُـذُور
واسَّـاقَطَ المَطَر

وانْطَلَقَ الرُّعْيانُ لِلسُّفُوح
لا مَوْتَ ، جَفَّتْ الدُّمُوعَ

* * *

مَدِينَــتِى
ما أَرْوَع اللِّقَــاء
وضَجَّةُ السَّواعِدِ السَّمْراءِ فى الأُفُق
وفى المَدَى صَدَى هَدِير
مَصانِعٌ تَـدُور
ورَفَّةُ النُّوَّارِ فى الحُقُول
تَضُوعُ بالعَبِــير
ويَرْتَمِى عُصفورها عَلَى الشَّفَق
طِفْــلٌ نَزِق
مَدِينَتِى تُهاجِرُ الطُّيُور

إلى شتائِها الضَّحُوك
أَوْراقُها لا تَعْرِفُ الخَرِيف

مَدِينَتِي رَبِيع
الشَّمْسُ في المُروجِ لا تَغِيب
تَسْبَحُ في وَمْضِ العُيُون السُّود
في قَطْرَةِ العَرَق
ويُمْسِكُ الأَطْفالُ في مِياهِهَا القَمَر
مَدِينَتِي تَهْوَى القَمَر
تُحْيِي أَمَاسِيَّ السَّمَر
تَعُبُّ أَنفاسَ السَّحَر
مَدِينَتِي أَعْيادُ حُب
مَآزِرٌ هَفْهافَةٌ تَطِير
والزَّهْرُ في العُقُود كالنُّجُوم

ومَوْحَـةُ العيُونِ تَغْمُرُ الأُفُقْ

* * *

أَىُّ الوجُوهِ أَقبلَتْ

أَىُّ الجِبَاهِ لَوَّحَتْها سُمْرَةُ الجَنُوب

وصُفْرَةُ الشُّعاعِ فى الغُرُوب

أَىُّ الوُجُوهِ شَفَّها بَرْحُ الـكَلال

جاءَتْ تُحَـيِّي عَصْرَها الأَبناء

وتَحْتَ أَقْواسِ انْتِصارِ العَائِدِين

تَدَفَّقَ النَّهْرُ العَظِيمُ بالوُفُـود

مِنْ قِمَمِ الجِبالِ ، مِنْ مَشارِفِ الودْيان

مِنْ يانِـعِ الجُزُر

مِنْ وَهْدَةِ الشِّعابِ بَينَ الغَابِ والنَّخِيل

مِنْ مَشْرِقِ الضِياءِ فى مَرافِئِ البِحار

مِنْ مُلْتَقى السَّحابِ بالجِباهِ في التِّلال
مِنْ هزَّةِ الزِّلْزالِ ، مِنْ تمرُّدِ البُرْكان
مِنْ صرْخَةِ الجياعِ بَيْنَ اللِّصِّ والطُّوفان
مِنْ مطْلَعِ الثُّوَّارِ ، مِنْ مَغاربِ الغُزَاه
مَواكِبٌ ، مجامِعٌ ، حُشُود
تَشِيدُ في مَدِينَتي جِسْرَ انْتِصار
وتَنْشُرُ الأَنوارَ في الأُفُق
مُدَّتْ سَواعِدٌ ، وأَشْرَقتْ عُيُون
دَوَّتْ أَناشيدُ الجُمُوع
رَفَّتْ حَمائمُ السَّلامِ لِلْبَشَر
وأَيْنَعتْ حَدائقُ الحَياه
كُلُّ الرِّفاقِ يَعْمَلُون
كُلُّ الصِّغارِ يَحْلُمُون

كُلُّ الضَّحايا يَسْأَلُون
دِماؤُنا فى الأَرْضِ لَمْ تجِف
فَلْتَضْرِبُوا عَلَى يَدِ الجَلَّاد
ولْتُشْرِقُ الحَياةُ للأَجْيال
« لا مَوْتَ بَعْدَ اليَوْم
لا طِفْلَ يَحْتَرِق
لا نارَ ، لا غُبارَ ، لا دَمار
لِتَنْطَلِقْ مَواكِبُ الجُموع فى شَواطِىءِ البِحار
لِتَتَّحِدْ منابِعُ الأَنْهار
ويُولَدِ ابنُ الأَرْضِ مِنْ جَدِيد »

النهر لا يموت

[في ثورة ١٤ تموز بالعراق ١٩٥٨]

اللَّيْلُ والرِّياحُ والثُّلوج
أُغْنِيَةٌ سَوْداءُ في المُروج
لا خَطْوَ ، لا وَمِيضَ ، لا أَرِيج
وغابَت الرُّعاةُ في الجَبَلْ

ظِلٌ يَذُوبُ خَلْفَ ظِل
يا ويلَ مَنْ رمَى به الضَّياع
بينَ الدُّجَى والقَيْدِ والجِـراح
يُجالِدِ السَّحابَ والرِّياح
متَى يَرِفُّ فوقَ نَهْرِهِ شِراع
يزُفُّ طَلْعَـةَ الصَّباح ؟ . . .
وصاحَ طَيْرٌ أَخْضرُ الجَناح :
الفَجْـــرُ لاح
والشَّمْسُ فاضَتْ فى غدٍ عَلَى التِّلال
النَّهْرُ يَكْسرُ الجَليد
النَّهْرُ لا يَمُوت

* * *

عَلى مَشارِفِ النَّهارِ دَم
يَهيجُ وحْشِيَّ النَّغَم
وصَيْحَةُ الشَّهيدِ كُلَّ يَوم
تؤَرِّق الجَلّاد
وسائِلٌ يَدُقّ في بَغْداد
مضاجِعَ الأَموات
لكِنَّها لا تَفْتَحُ الأَبوابَ للغِناء
منذُ اخْتَفَت عن أَعْيُنِ الحَياه
والشَّعْبُ في مُعَسْكَراتِ الاعْتِقال
وفي المَنافِي مارِدٌ سَجين
متَى تَرِفُّ طَلْعَةُ الصَّباح ؟
وصاحَ طَيْرٌ راعِفُ الجَناح :

الفَجْــــرُ لاح

والشَّمْسُ فاضَتْ حُرَّةً عَلَى التِّلال

النَّهْرُ كَسَّرَ الجَلِيد

النَّهْرُ لا يَمُوت

أغنية انتصار

إلى العراق

فى أَغْوارِ الظُّلْمَه
تحتَ رمَادِ المأْساه
عاشَ شَهِيدٌ مات طُناه
وانْطَلَقَتْ ثَــوْره

ما أَرْوَعَ أَيامَ النَّصر

تَهْدِرُ شَلَّالاً من دَم

تَثْأَرُ من وَحْشٍ أَبْكَم

يَذْبَحُ طِفْلاً

يَغْضِبُ عَذْراءً حُرَّه

أَحْلامَ الأُمّ

واسْتَيْقَظَ شَعْب

حَطَّمَ مَقْبَرَةَ الطُّغْيان

مزَّقَ أَكفانَ النِّسيان

وتَغَنَّى للوادِى الأَخْضر

أُغْنِيَةً لِلنَّصْر :

ما أَنْضَرَ أَوْراقَ البُسْتان

إِنْ تَفرِشْ فى قَلْبِ الإنْسان

ظِـلا يَحتَضِنُ الأَحْباب
عُشَّاقَ الحُرِّيَّـهْ

* * *

لا تَذْهَبْ بَهْجَتُنا في حُلْمْ
والشَّمْسُ عَلَى الأَرْضِ الأُم
ما زالَ يُغَشِّيها الغُـرَبَاء
بِغُبَـارِ المَـوْت
ما أَضْيَـعَ عُمْـرَ الوَرْد
إِنْ تُسْفَحْ قَطَرَاتُ القَلْب
فى ذِكْرَى أَيَّامِ الحُب
وعَلَى كُـلِّ طَرِيقٍ طِفْـلَه
نَصَبَتْ لِصِباها سُوقَ رَقِيق
تُجَّـارُ الحَرْب

وَالأَرْضُ تُرَدِّدُ أُغْنِيَّه
وُلِدَتْ فى مُهَجِ الثُّوَّار
واشْتَعَلَتْ بِدِماءِ الشُّهَدَاء
عُشَّاقِ الحُرِّيَّه

* * *

ماضِيكَ خَضِيبٌ بالدَّم
مِنْ أَعْناقِ رِجال
مِنْ أَدْمُعِ أَطْفَال
فاخْضِبْ وَجْهَ المُجْرِمْ
بالحِقْدِ الأَسْوَدْ
وَاثْأَرْ لِلْوَطَنِ الحُرّ
وَطِئَتْهُ يَوْماً قَدَمَا مُسْتَعْمِر
وَلْتَسْقُطْ بَيْنَ أَغانِى الثُّوَّار

وأَزيزِ المِدْفَـع
لِتَسُدَّ بأَشْـلائِكَ ثَغْرَه
فى حِصْنِ البَشَـرِيَّه
من صُلْبِ شَهِيدٍ ، يُولَدْ
صُنَّـاعُ الغَــد
عُشَّاقُ الحُرِّيَّـه

رباعيات من حلب

[فى مقاومة الحشود الاستعمارية حول سورية سنة ١٩٥٨]

يا سارِىَ المَساءِ تَحْتَ غَيْمَةٍ ونَجْمْ
إِنَّ السَّماءَ يا رَفِيقُ قاعُ نار
ونَسْمَةَ الشَّمَالِ رِيحُ دَم
عَلَى مشَارِفِ الدُّروبِ قاعُ نار

وفى مسارِبِ الطُّيورِ رِيحُ دم

* * *

لا تفرِشُوا طرِيقَكُمْ أَزْهار

يا أَيُّها السُّمَّارُ ، يا عَرَب

بالأَمسِ مَرَّ مِنْ هُنا إِعْصار

وخَرَّ فى الظَّلامِ رَاعِيانِ من حلَب

* * *

اللَّيْلَةُ القَمْراءُ فى دِمَشْقَ غاب

حَطَّابُها يُطَارِدُ الذِّئاب

والطَّيْرُ فى الوِهادِ يحْتَجِب

وَينْفُثُ الفَضَاءُ دَامِيَ اللَّهَب

بالأَمسِ كانت تُمْطِرُ العُيونَ بالضِّياء

زرقاءُ يَحْضِنُ السُّفوحَ أُفقُها الرَّحِيب

ويَصْعَدُ الحَمامُ فى الرُّبَا طَرُوب
يَرِفُّ فَوْقَ بَيْدَرٍ ونَبْع
ويَحْصُدُ الثِّمارَ كُلُّ جَمْع

* * *

سماءُ سُورِيا ارْتَوَتْ من الغضَب
ولَمْ يَعُدْ يُطِلُّ من غُصونِها قَمَر
وانْفَضَّ سامِرُ المسَاء والطَّرَب
وكُلُّ زَهْرَةٍ تفَتَّحَتْ عَلَى دُخَان
وكُلُّ طِفْلٍ قَلْبُهُ عَلَى يَدِه
وَبنْدُقِيَّتُه
ورَنَّتْ الأَصداءُ كالهَدِيرِ : مَعْرَكه
وجاوَبَتْ نِداءَها الجُموعُ : مَعْرَكه
قد خَرَّ فى الظَّلامِ رَاعِيانِ من حَلَب

أغنية انتصار

إلى عمان

الْمَشْرِقُ يَحْتَضِنُ عَبِيرَ الْوَرْدْ
كُلَّ صَبَاحٍ يَحْمِلُ لِلطِّلِّ تَحِيَّهْ
يَسْكُبُ فِى شَفَةِ الطَّائِرِ أُغْنِيَّهْ
تُوقِظُ فِى قَلْبِ الْعَذْرَاءِ الْحُبْ

* * *

كانَتْ فى عَمَّانَ صَبِيَّهْ

فى عُمْـــرِ الوَرْدْ

كانَتْ تحلُمْ

لَمْ تَشهدْ عُشَّ غَـرَام

لَمْ تُسعِدْها الأَحْـــلام

فارِسُها مخضُوبُ الثَّـوْب

مَعْصُوب العيْنَيْن

ويدٌ شَوهاءُ تنقُبُ حفُـرَهْ

لـكنَّ الفَارِسَ معْصُوبَ العَيْـنَيْن

ما زالتْ قَدَماهُ عَلَى الصَّخْر

ما زالتْ فى الشَّاطِىءِ طِفْـلَهْ

تحمِلُ غُصْنَ الزَّيتُونِ الأَخْضَر

تَرنُو لِلفَارِسِ فى عَبْرَه



تَنتَظِرُ العَــــوْدَه

* * *

جَفَّتْ قَطَراتُ الحُلْمِ عَلى صَيْحَه
دوَّت عَمَّـانُ تَثُـــــور
عَمَّـانُ حِرابٌ يَسْقِيها الدَّم
عَمَّـانُ مشانِقُ لِلأحْـــــرار
يا وَطَـــنِي
غاصَتْ قَدَمُ الفَارِسِ فى الظِّـلْ
فلْتَسْقُطْ أَلفُ ضَحِيَّـه
وَلْيَشْتَعِلِ اللَّيْـــل
شَلَّتْ أَيدِي قُرصانِ الحُرِّيّـه
لَنْ يَسقُطَ فارِسُ عَمّانَ الحُر
يا وَطَــــنِي

يا فارسَ أَحْـــــلامِي

عيناىَ فِداؤُكَ يا مَعْصُوبَ العَين

يامخضوبَ الثَّـــوب

ما أَنضرَ أَوراقَ القَلْب

تذرُوها ريحُ الحُرِّيَّة

كَيْ يحملَ غُصنُكَ يا وطنى

زهَراتِ الحُب

وليُوهَبْ لِى عُمْرٌ آخر

فى قلبٍ يخفِقُ فوقَ النَّهر

ما زالتْ ترْفَعُ فى عَمَّانَ الأعـــلام

أَيدِى الــــرُّوَّاد

ما زالت تدفُقُ نَهْرا

تبـــــنى جِسْرا

تُسقِطُ أَسرابَ جَراد
ما زالتْ فى الشَّاطِيء طِفلهْ
تَرْنُو للفارِسِ فى عَبْرَه
تَنتظِرُ العَوْدَهْ
ما زالتْ فى عمَّانَ صَبِيَّهْ
فى عُمْرِ الوَرْد
كلَّ صَباحٍ تحمِلُ للنَّهْرِ تحيَّهْ
تُهدِى للفارِسِ أغنيَّهْ :
لَنْ يَسقُطَ فُرْسانُ الحُرِّيَّهْ
لَنْ تَسقُطَ عمَّان

غرباء...

(أغنية حزينة من لاجيء عربي إلى فلسطين)

فِي القَرْيَةِ خَلَّفْتُ رِجالاً غُرَبَاء
يَفْتَرِشُونَ الشَّوْكَ لِيَقْتَتَ الأَبنَاء
ويَبِيتُون عَلَى مُرِّ الصَّبْر
يَنْتَظِرُون الفَجْر

لِيعُودُوا للأَرْضِ السَّمراء
أَعْوادًا ذَبُلَت فى رَيْعانِ العُمُرْ
ورِفاقًا يَقْتَتِلُونَ عَلَى حفْنَةِ بُرّ
كانُوا غُرَباء

* * *

لَمْ تَطْلُعْ لى شَمْس
لم تَغْمَضْ عَيْن
ومَدِينَتُنا تحتَ النُّورِ هَبَاء
مُذْ وَلَّى الأمْس
كُنْتُ جَليسَ الأَصْحَاب
غَاصُوا فى أَغْوارِ الظُّلْمَه
لِيَمُدُّوا حَبْلَ ضِياءٍ للأَحْباب
وسِراجاً لِلسَّارينَ الغُرَباء

يا وَيْلي

نَجْمي غاب

مِصْباحي ذابَتْ شَمْعَتُهُ

واسْتَخْفَتْ أطياف الأحْباب

عادُوا غُرَباء

* * *

يا وَطَني والعَالَمُ يستَبِقُ بكُلِّ مَدار

ويجُوبُ الإنسانُ الأقمار

لِمَ تَرْعَى واديك الظُّلمات

ويموتُ الأطفالُ عَلى عَيْنَيْك

كَمْ أنتَ حَزِين

دارُكَ يَغْشاها الأمْوات

وتَبِيتُ عَلَى الغُرْبَةِ تَرْثِي الأَحْيَاء

إِنْ تَطْلُعْ شَمْسٌ غُرَبَاء

إِنْ يَهْوِ شُعَاعٌ غُرَبَاء

غُرَبَاءٌ فِي وادِيهِمْ غُرَبَاء

العلم والحرية

[أغنية من الجزائر]

الفَلَكُ الدَّوَّارُ يُغَــــــنِّى
أَشواقَ الانسانِ النَّأْى
وَوَليدٌ قَمَرِىٌّ يرقى
آفاقَ الأَرضِ العَذْراء

يا لَلْفَرْحةِ تحتضِنُ الـكَون

أَنفاساً تتهدَّج

تاريخاً يتوهَّج

لم تَغْمَضْ في ليْلتهِ عَيْن

لم يَسْـكُنُ فى دوْحَتِهِ طَيْر

الـكونُ جميلٌ ، ما أَحْلَى

فلْيَصعَدْ فَوقَ القِمَّةِ فَجْر

وليتدفَّقْ نَهْر

الـكَونُ جميلٌ ، ما أَحْلَى

لَـكِنْ عُشَّاقُ الحريَّه

ما زالوا يغْشَوْن الظُّلُمات

ما زالوا رُوَّادَ صِراع

لم تُدفَنْ منهم أمْوات
لم تُعزَفْ مَرثِيَةُ وداع
العالَمُ مِلْكُ البَشَرِيّه
لكنَّ الحُرِيَّه
ما زالت أمْنِيّه

شهيد من الجزائر

[في مصرع البطل الجزائري « عبد الحميد بوصوف »
أحرقه المستعمرون حياً حين انضم إلى صفوف الشعب]

أَلْقَتْ رِداءَهَا عَلَى الأُفُقِ
فالطَّيْرُ والأَمْوَاجُ والسَّحابُ تَنْطَلِق
لِلشَّرْقِ عَنْ دُوَّامَةِ اللَّهيبِ فى الشَّفَق
وانشَقَّ بابُ المَغْرِبِ الخَضِيب

عَنْ أَعْيُنٍ سَوْداءَ لا تُجِيب
جَوْفاءَ ، كانَتْ أَعْيُنَ الأَطْفال
لمَّا هَوَى « بُوصُوفُ » يَحْتَرِق

* * *

كانَتْ بيادِرُ الحَصادِ تَشْتَعِل
وأَذْرُعُ الثّوّارِ في الجِبَال
تَسُدُّ عَيْنَ الشَّمْسِ بالشَّرَر
وأَدْمعُ النِّساءِ لَمْ تَفِضْ
عَلى ثَرى مُناضِلٍ سَقَطْ
فالمَوْتُ كانَ يَجْرِفُ الجَلِيد
يَقْتَحِمُ الأَسْلاكَ والسُّدُود
ويُطْعِمُ الوَلِيدَ نارَ الثَّأْر
لَمَّا هَوَى « بُوصوفُ » يَحْتَرِق

* * *

يا وَيْلَـهُ مَنْ لَمْ يَقِفْ
والأَرْضُ مِنْ دَم الرِّفاقِ لا تَجِف
والشَّعْبُ ماضٍ لا يَضِـل
لِيُشْهِدَ الحَيَاةَ مَصْرَعَ البَطَل
مِنْ أَجْلِ أَنْ تُضِيءَ جَبْهَةُ العُنَاه
وَيُسْلِمَ الطُّغَاةُ رايَةَ الحَيَاه

* * *

« بوصوفُ » يَرْتَضى قَرارَةَ العَدَم
يُضْرِمُ فى جَبِينِهِ النَّبِيلِ نارَ قاتِله
ولَيْسَ غَيْر كِلْمَتَيْنِ قَبْلَما يَغِيب :
يا شَعْبُ ضُمَّنى إِلَيْك
المَوْتُ فى مَحَارِقِ الرَّماد
ولا يُغَشِّى العارُ جَبْهَتَك



يا شَعْبُ إنَّ المُلْكَ والحَياةَ لَكْ

* * *

لَنْ تَستَطِيعَ أَنْ تَموت

وفى ذُرَى وَهْرانَ كُلُّ أُم

تَسْقِى صِغارَها الظِّماء

دِماءَ زَوْجِها الشَّهيد

والشَّمْسُ فى صَباحِها تَعُود

لِتُنْضِجَ الثِّمارَ فى الوِهاد

والطِّفْلُ يَهْجُرُ المِهاد

وحفْنَةٌ مِنَ الرَّماد المُحْتَرِق

فى كَفِّهِ يَرْمِى بها الجُناه

وكُلَّما تَخَضَّبَ الأُفُق

عادَتْ إلى رُفاتِكَ الحَياه

« بُوصوفُ » يا مُخَلَّدًا إلى الأَبَد

الصياد الياباني

[قصة صياد ياباني من ميناء « يازو » سقط ضحية التجربة الذرية الأمريكية في جزر بيكيني بالمحيط الهادي عام ١٩٥٧]

الأُفْقُ يَخْصِبُ الفضاءَ بالشَّرَر
بِالهَوْلِ والدّمارِ والفنَاء
والنَّارُ ماردٌ يُطَوِّقُ البَشَر
وَتغْتَلِي البِحَارُ بالدِّماء

يا أيّها الرّفاق

لا تَنْشُروا فى اللُّجَّةِ الشِّراع

لا تَنْصِبُوا الشِّباكَ لِلضَّياع

الرِّيحُ تَعْدو خَلْفَنا مَحْمومَةَ الهَزِيم

وَفَوْقَنا تَوهَّجَت سَحابَةٌ

سَوداءُ كالهُمُوم

والعاصِفُ الذَّرِّىُّ يَنْفُثُ الجَحيم

دُجاهُ تَقْهَرُ النَّهار

تَطْويهِ فى غَياهِبِ الصِّراع

وَيَفْغَرُ المُحيطُ قاعَهُ الرَّهيب

يَميدُ بالرُّعودِ واللَّهيب

فَتَخْتَفِى الضِّفافُ والتِّلالُ والتُّخوم

وَتَسْقُطُ الحَيَاةُ فى أَقدامِ غائِلٍ رَجيم

* * *

تَفتَّحَتْ أَزهارُ « يازو » فى غَلائِلِ الشُّروق
والوَرْدُ فى الميناءِ يَنْثُر العَبيرَ كالمَطَر
والشَّمْسُ تَحْضِنُ البُيوتَ والشَّجَر
ويَلْتَقِى الرَّفيقُ بالرَّفيق
عَلَى تَحِيَّةِ الصَّباحِ فى الطَّريق
وغَيَّبَ العُبابُ وَجْهَ قَارِبٍ عنِ العُيون
يُقِلُّ صَيَّادِينَ يَرْتادُون مائِجَ الحُصون
قَد زَوَّدَتْهُم طِيبَهَا عُيونُ زَوْجَةٍ وطِفْل
ورَطَّبَتْ جِباهَهُمْ أَنامِلُ البنَاتِ بالقُبَل
وحِينَ صاحَ حارِسُ الرِّياحِ : « فَلْنَعُدْ »
ودَوَّتْ الآفاقُ بِالرِّجامِ والشُّهُب

لَمْ يَبْقَ فوقَ المَوْجِ غيْرُ لاهِبِ الرَّماد
وثارَ فى المُحيطِ مِرْجَلٌ غَضُوب
يَمُدُّ أَذْرُعَ القَتامِ والخُطُوب
ولَعْنَةً مَشْبُوبَةَ الأَحْقادِ تَزْرَعُ الكُلُوم

* * *

يَا وَيْلَتَا لِصائدٍ يُجالِدُ الرِّياح
يَمْضِى عَلَى وَجْهِ العُبابِ عانِىَ الجِراح
وصاحِباهُ يَضْرِبانِ فى مَجاهِلِ الخِضَم
والموجُ عارِمٌ أَشَم
تَذْرُو عَلَيهِ السُّحْبُ جاحِمَ الحِمَم
وَزَوْجُهُ هُناكَ تَرْقُبُ الغُرُوب
وَيَرْمُقُ الصِّغارَ بالحَنانِ لَحْظُها الكَئِيب :
اللَّيْلُ خَيَّمَتْ ظِلالُهُ ولَمْ يَعُدْ

وعاد كلُّ غائبٍ لاهلِهِ وَلَمْ يَعُدْ
وَغلَّقَ الجيرانُ بابَهُمْ ولَمْ يَعُدْ
أَطْفالُهُ أَغفَوْا عَلَى انتِظَار
ولَمْ يَحِنْ مآبُهُ لِلدَّار
وكانَ لايُطِيلُ غَيْبَتَهْ
ولا يَضِلُّ فى الظَّلامِ رِحْلَتَهْ
كمْ عاصِفٍ أَذَلَّ كاهِلَ الرِّجال
وما هَوى شِراعُهُ ولَمْ تَهِنْ
شِباكُهُ وعاد يَحْمِلُ السِّلال
عَيْناهُ تُوقِدانِ عَتْمَةَ الظِّلالَ
وتَسْكُبانِ فى دَمِى الحَنِينَ والسَّلام
وساعِداه يَحْمِلانِ طَيِّبَ الطَّعام
والعِطْرُ والشُّعاعُ والصَّفاء

على مَشارِفِ المَساء
تَرِفُّ مِنْ جِدارِ عُشِّنا الصَّغير
وكانَ دافِقَ الوِدادِ ساعَةَ اللِّقاء
لَكِنَّما لُقْياهُ هذا اللَّيلَ لَمْ تَحِنْ

* * *

يا رُفقَتي ولَمْ يَحِنْ عَوْدُ الحَبيب
أَسْرَتْ به الرِّياحُ لِلْمَغيب
لَمْ يَحْتَضِنْ بَناتَهُ الثَّلاثَ مُنْذُ ذَلِكَ الصَّباح
لَمْ يُشْجِنا هُتافُهُ الطَّروبُ في الغُروب
وخَلَّفَ العَذابَ والدُّموع
وجَمْرَةَ الأَوْجاعِ في الضُّلوع
ثِيابُهُ على الصِّوانِ ما تَزال
شِباكُهُ عَلَى الجِدارِ ما تَزال

وهَمْسُ خُطْوَتِهْ

في رِدْهَةِ الـكُوخِ الوَديعِ وَقْعُها

وخَفْقَةُ اليَدَيْنِ فى يَدَىَّ رَجْعُها

وطِيبُ نَظْرَتِهْ

في أَعْيُنِ الصِّغارِ ما تَزال

وكان حِينَما هَوَى يَحِنُّ لِلْبقَاء

يُجالِدُ الجِراحَ يَغْلِبُ الفنَاء

كأَنَّما تَشَوقُهُ الرِّياحُ والأَنْواء

والعَوْدُ بالصَّيْدِ الوَفيرِ فى المَساء

كَأَنَّما يَستافُ نَفْحَةَ البِحارِ

وَيَنْشُرُ الشِّراعَ فَوْقَ قِمَّةِ التَّيَّار

وَأَوْدَعُوهُ بَيْنَ صَحْبِهِ العُنَاةِ في المَدِينَهْ

والمَوْتُ ظِلُّهُ الـكَئِيبُ رابِضٌ عَلَى السَّـكِينَهْ

وما خَبَتْ أنفاسُهُ الحِرار
وما انْتَهَى عَذابُهُ بالنَّار
وَيْلاهُ ، ذابَ شَعْرُهُ ولَمْ يَمُتْ
وغاضَ ماءُ وَجْهِهِ ولَمْ يَمُتْ
وأُطْفِئَتْ عُيونُهُ ولَمْ يَمُت
وحِينَ ماتَ لَمْ يَكُنْ بِهِ رَمَقْ
يَصُدُّ عَنْهُ غائِلَ الحَريق
واسَّاقطَتْ قبْلَ الوَداعِ منهُ كِلْمَتان :
« لا مَوْتَ بَعْدَ اليَوْمِ بالغُبَار »
وكانَ آخِرَ الضَّحايا في تَجَارِبِ الدَّمار

* * *

يا أَصْدِقاء الشَّمْسِ ، يا طَلائِعَ النَّهار
يَأَيُّها العُمَّالُ فى شَواطِئِ البِحار

لِتَرْتَطِمْ تجارِبُ الدَّمار
بِصَخْرَةِ الإِصْرار :
لَنْ يَسْقُطَ الآباءُ فى محارِقِ الرَّماد
لَنْ يَرْجِعَ الأَبناءُ شائِهِى الوُجُوه
لَنْ يُطْفِئَ الجَلَّادُ نَضْرَةَ العُيون
لِتَنْحَطِمْ على جِدارِكُمْ يداه
مِنْ قَبْلِ أَنْ يُحَطِّمَ الحيـــــاه
ويَغْصِبَ الأَطْفـــالَ بَسْمَةَ الشِّفاه
يا أَيُّها الأَعْلَوْنَ بالسَّواعِدِ الشِّداد
الزَّاحِفُونَ بالْجَوانِحِ المُضِيئَةِ الحِرار
يا أَصْدِقاء الشَّمْسِ ، يا طَلائِعَ النَّهـــار

لن تسقط قنبلة ثالثة

مَدِينتى كانتْ هُنا وكانَ إِخْوَتى
واليَومَ يغزُو العُشبُ والأَشواكُ جنَّتى
عَلَى حُطام تُرْبِها الجَـدِيب
عَلَى ضحَايا مَوْطِنى الحبِيب

صيغت هذه القصيدة من الترجمة النثرية التى قام بها الدكتور على الراعى لقصيدة الشاعر اليابانى إيشيجى أسادا .

أَلْقَتْ به قنابِلُ الدَّمارِ في الحَصَاد
يَأَيُّها الرِّفاقُ يا أَحِبَّةَ الحيَاه
لِتَتَّحِدْ صفوفُكُمُ في مَوْكِبِ الإِصْرار
لا مَوْتَ بعدَ اليَوْمِ لا دَمَار

* * *

السُّحْبُ تُمْطِرُ السُّمُومَ في الفَضَاء
والصَّيْدُ في البِحارِ يَحْمِلُ الفَناء
فقارِبٌ مُحَطَّمٌ مَهجُور
وصَائِدٌ مُشَوَّهٌ ضَرير
أَلْقَتْ به قنابِلُ الدَّمارِ في الحَصَاد
يأَيُّها الرِّفاقُ فَوْقَ الأَرْضِ والبِحَار
لِتَتَّحِدْ صفوفُكُمُ في مَوْكِبِ الإِصْرار

لا مَوْتَ بَعْدَ اليَومِ لا دَمَار

* * *

يَا لَلسَّماءِ فى ثِيابِ المَوتِ فَوْقَنَا
وَغَيْمَةٌ تُحِيطُ بالسَّوادِ شَمْسَنا
لا طَيْرَ — والسَّماءُ كَالرَّصَاص —
مُحَلِّقٌ فى نَشْوَةِ الخَلاص
أَلْقَتْ به قنابِلُ الدَّمارِ فى الحصَاد
يأَيُّها الأَحبابُ يا طَلائِعَ النَّهار
لِتَتَّحِدْ صفوفُكُمْ فى مَوْكِبِ الإصْرار
لا مَوْتَ بَعْدَ اليَومِ لا دَمَار

* * *

ما أَرْوَعَ الإنْسانَ صانِعَ الحَيَاه
تَعَهَّدَتْ حَضارَةَ الدُّنيا يداه



يا وَيْلَهُ إنْ لم يَذُدْ عمَّا بَناه
أَلْقَتْ به قنابِلُ الدَّمارِ فى الحصـاد
يأَيُّها الشُّعوبُ يا طلائِـعَ الأَحرار
لِتَتَّحِدْ صفوفُـكُمُ فى مَوْكِبِ الإصرار
لا مَوْتَ بعدَ اليَومِ لا دَمَـار

أغنية إلى رائد الفضاء

يا طَيْرا حَطَّ عَلَى شَجَرِ الغَيْب
مُنْطَلِقاً مِنْ أَغْلالِ الوَهْم
مِنْ أَغْـــوارِ الطِّين
واسْتَشْرَف وَجْهَ الأَرْضِ الأُم

يَرْنُو خَلْفَ عُبابِ الظُّلُمات

مِنْ أَسْتارِ الغَيْم

يَا لَلرَّوْعَهْ

هَذِى أَنْت تَلُوحِين

كُرَةً فى الزُّرْقَةِ تَتَوَهَّجْ

قَلباً جَوَّاباً يَتَهَدَّجْ

لا زَمَنًا ، لا قَيْدًا ، لا أَبْعـاد

فى شُرُفاتِ الفَلَكِ الدَّوَّار

إِلاَّ مَوَجات السِّحْرْ

وسَنَاكِ الخاطِف للأَبصار

يَطْرُقُ قَلْبِى ، يَسْبِى لُبِّى

إِنِّى أَعْرِفُــــهُ

أَتَغَنَّاهُ عَلَى بُعْـدِ الدَّار

وأنا أَرْشُفُ مِنْ ينبُوعِ الخَلْق

أَشْهَدُ أَوَّلَ خَيْطٍ أَبيَض

يولَدُ فوقَ جَبينِ الشَّرْق

أَشْهَدُ أَوَّل مَغْـــــرِب

يَطْوِى فى لُجَّتِهِ سَفِينَ النُّور

والعالَم فى عَيْنَىَّ إِلَه

يَسْتَخْفِى فى صُورَةِ إِنْسانِ

جَمَعَتْهُ رَغْمَ شَتِيتِ الأَوْطانِ

أَيْدٍ قادِرَةٌ أَنْ تَقْهَــــر

أَسْــوَارَ البَشَرِيَّهْ

قادِرَةٌ أَنْ تَرْفَــــع

أَعْـــــلامَ الحُــرِّيَّهْ

وتُرَدِّدَ أُغْنِيَــةَ النَّصْر

لا زَمناً ، لا قَيدًا ، لا أَبْعاد
فى شُرُفاتِ الفَلَكِ الدَّوَّار
والأَرْضُ تَمُوجُ بِغَيْرِ قَــرار
بَحْثًا عَن فِرْدَوْسٍ مَوْعُـود
لا أَجْناساً فيهِ ولا أَحْقــاد
بَحْثًا عن عَالَمِها الأَوْحَـــد
عَالَمِ إِنْسـانٍ لا يُسْتَعْبَدْ

* * *

يا رُبَّانَ العَصْرِ الصَّاعِـــدْ
فى مِعْرَاجِ المَجْهُـــول
سَهْماً يُطْلِـعُ أَلْفَ نَهـار
مِنْ أَحْشَاءِ اللَّيْل
تَلْمَعُ فى جَبْهَتِهِ الشَّمْس
وتَدُورُ عَلَى قَدَمَيْهِ الأَقْمَـار

طُوبَى لِلأَرْضِ الأُمْ
يَوْمَ مَنَحْتَ الأَكْوَان
أَصْفَى مَا يَمْلِكُهُ قَلْب
غُنْــــوَة حُــب
وفَتَحْتَ عوَالِمَ لِلإِنْســان
غَاصَتْ آمادًا فى قاعِ الوَهْم
وانْجابَ الطِّلْسَمُ عَن عَيْنَيْك
أَبْوابًا تُفْتَحُ لِلــــرُّوَّاد
فى لَيـلَةِ ميــــلاد
والحُلْمُ يَطُوفُ بِكُلِّ فُؤَاد
يَخْفُقُ فى لَهْفَتِهِ للسُّمَّار
جَمَعَتْهُمْ أَشْواقٌ لِلرِّحْــلَهْ
فى أَعمَاقِ الغَــــد

وعَلَى كُلِّ جَبِينٍ بَسْمَهْ
وَمْضَةُ نَجْـــــم
فى عَيْنَىْ مَلَّاحٍ عادَ مِنَ الآفاق
والْتَأَمَ الشَّملُ عَلَى ذِكْرَى لَيْلَهْ
طَابَتْ لِلرُّوَّادِ المَحْـرُومِين
رَدَّتْ غُرْبَتَهُمْ رِحْلَةُ جَاجارِين
والْتَفَّتْ فى أُمْسِيَةٍ عَذْبَــهْ
أَيْدِى عُشَّـاق
وتَلاقَتْ أَشْــوَاق
حَرَّى تَنْشُــدُ قَطْرَه
قَطْرَةَ حُــــب
فى عِيدِ الإِنْسانِ الصَّـاعِدِ
يَرْفَعُ أَعْلامَ النَّصْر

أغنية دراجي..

إلى همنجواي

كالنَّسْرِ مَقهُورًا هَوَى

لم يَنتَظِرْ نِهايةَ المَطاف

الشَّيخُ مَلَّ رِحلةَ البِحار

وغابَ فى مَفازَةِ التَّذْكار

وفى مَحطَّةِ المَدينة
عَيْنا صَبيَّةٍ تُشير
إلى كِتابٍ أَزْرَقِ الغِلاف
عَليهِ أَحْرُفٌ حَزينه
همنجواى

* * *

لِمَنْ تَدُقُّ هذهِ الأَجْراس
كاترين[1] ماتَتْ وهْىَ تَمْنَحُ الحَياه
لم تَكْتَحِلْ عُيونُها بِطَلْعَةِ الوَليد
شُدَّتْ عَلَى الأَعْناقِ أَطْواقُ النَّجاه
يا أَيُّها القَضاء

(١) بطلة رواية « وداعاً للسلاح » وهى من أعظم أعمال همنجواى التى تعبر عن نظرته فى مشكلة الحياة والموت .

يا مُرْسِلَ الأَمْطارِ حَرَّى تُرْمِضُ الجُفون
تَنْصَبّ في الفُؤادِ تُحرِقُ الشِّفاه
وتُنشِبُ الأَصابِـعَ الشَّوْهاءَ في الدِّماءِ والعَرَق
تَحجُبُ عَنا حُلْمَنا السَّعيد
وتَغْرِسُ الهُمُومَ والأَعشابَ والقَلَق
لِمَنْ يَدُقُّ لَحْنُكَ الحَنُون
والشَّيْخُ ملَّ رِحْلَةَ البِحار
وغابَ في مَفازَةِ التَّذْكار

* * *

أَبْطالُنا مُعَذَّبُون
مُشَرَّدُون في الثُّلُوج والقِفار
مُعَلَّقُون فوقَ حافَةِ القَدَر
يُصارِعُون هُوَّةَ الظَّلام

أَدْوارُهُم صَخَّابَةٌ قصار
يُطِلُّ فى مِرْآةِ بَدْئِها الخِتام
ويُسْدَلُ السِّتار

* * *

الصَّائِدُ الجَسُور كانَ يَسْتَخِفّ بالبِحار
والسِّندبادُ كانَ لَيْلُهُ نَهار
مالَ الشِّراع لِلوداع
والشَّيخُ عادَ خاوِيَ الوِفاض
وغابَ في مَفازَةِ التَّذْكار

* * *

عَرفْتَ كُلَّ الأُمْسيات
واجَهْتَ لَحظَةَ المُحال
عُذِّبْتَ بالمصير

بِرِحْلةِ الإرْهاقِ فَوْقَ أَبْحُرِ الضَّياع
وبالدَّمِ المُراقِ فى حَدائِقِ الحَياه
والمَوْتُ بينَ أَذْرُعِ النِّساء
والشَّمْسُ تَمْضِى للشُّروق
ويَغْرُبُ الإنسانُ وهْوَ يحْمِلُ الصَّليب
يَغُوصُ مَعْصُوبَ الجَبينِ فى الرِّمال
يَصُبُّ فى بُحَيْرَةِ الأَزل
والأَرْضُ تَحْيَى من جَديد
الطِّفْلُ يَهْجُرُ المِهاد
والشَّيْخُ مَلَّ رِحْلَةَ البِحار
وغابَ فى مَفازَةِ التَّذْكار

* * *

تَعانَقُوا ، ما أَجْمَلَ الحَياه

فى لَحْظةٍ تَضُمُّ عاشِقَيْن
بِلا زَمَن
وخَفْقَةٍ تَشُدُّ طائِرَيْن
بِلا وطَن
وحُبنا إنْ ينطَفِئْ نَمُتْ
وإن يُضِئْ نَحْتَضِنِ الوُجود
فى قَلْبِنَا إلى الأَبد
فى قَلْبِ ملاَّحِينَ بالبِحار
مُرَدِّدًا أُنشودةَ انْتِصار
على هَديرِ العاصِفَه
وساقِ زَهْرةٍ على الصُّخُور
تَفُوحُ للسَّارِينَ بالعَبِير
فوقَ الرِّمالِ الزَّاحِفه

وأَعْيُن فى مَنْجَمٍ سَحِيق
تَقْتَحِمُ الظِّلالَ والحَرِيق
إلى اللآلى الرَّاجِفه
تَعانَقُوا فى رِحْلَةِ المَصِير
وَوَاجِهُوا القَدَر
بِلا أَسًى
بِلا هَوان
بِلا نَدَم
بِلا دُموع

مرثية إلى ناظم حكمت

(كان « منصور » فتى من بورسعيد
يكسب العيش بمسح الأحذيه
ورأيت اليوم رسمه
فى صحيفه
وسط الموتى صغيراً
من ضحايا بورسعيد
ياحبيى ... ياعيونى)

من قصيدة بورسعيد لناظم حكمت سنة ١٩٥٦

أَيْنَ مِنِّي يا صَدِيقَ الرُّوحِ لُقْيا
ها هُنا تَحْتَ ظِلالِ القاهِرَه

يَوْمَ ضَمَّتْكَ قُلوبٌ تترَقرَقْ
بِأَغانيكَ ودُنْيا تتَدَفَّقْ
ونَسِيمُ الأُمْسِيَاتِ السَّاحِرَه
فَوْقَ شَطِّ النِّيلِ بالعُشَّاقِ يَخفقْ
وأَيادٍ دِفْؤُها انْسابَ بِقَلْبِكْ
وأَناشِيدُ ارْتَوَتْ مِنْ فَيْضِ حُبِّكْ

* * *

ما الْتَقَيْنا ، آهِ لَوْ تَعْرِفُ ناظِمْ
أَىَّ جُرْحٍ لَمْ يَزَلْ فى القَلْبِ غائِرْ
كُنْتُ فى الغُرْبَةِ أَمْضِى باجْراح
ثائِرَ الوِجْدانِ مَكْسورَ الجَناح
كَمْ يَدٍ شَوْهَاءَ حَالتْ بَيْنَنا

وأَحاطَتْ بالأَفاعِي عُشَّـنَا

* * *

ما الْتَقَيْنا غَيْرَ أَنِّى قَدْ رَأَيْتُكْ
وبِقَلْبِي يا حَبِيبِي قد سَمِعْتُكْ
شاعِرًا فى فَلَكِ النَّسْرِ تُحَلِّقْ
فَتَرى الفَجْرَ بأَعماقِ الظَّـلام
وتُواسِي فى هَدِيلٍ كالحَمَـام
كُلَّ مَحْزونٍ عَلى الأَرْضِ مُمَزَّق

* * *

هَلْ شَفَتْ قَلْبَكَ أَضْواءُ المَآذِن
والمَواوِيلُ وأَحْـلامُ السُّراه
أَمْ لَيالِى الصَّيْدِ فى عرْضِ القَنَاه
والأَغانِى والمَوانِى والمَدائِنْ

أَمْ تذَكَّرْتَ قِبابَ الآستانَهْ
وكُنوزًا تَحْتَ أَزْميرَ دَفينه
وفَتىً أَوْحَدَ مَمْشُوقًا كَناظِم
فِيهِ عَيْناكَ وثَغْرٌ لَكَ باسِم
فتَذَكَّرْتَ لَياليكَ الطَّويلَه
بَيْنَ سُقْمٍ وحَنينٍ وتَمَنِّى
فى غَياباتِ المَنافِى والسُّجُون
وجُمُوعُ الشَّعْبِ تَبْنِى وتُغَنِّى
فى دِيارٍ نُثِرَتْ فيها النُّجُوم
فوْقَ أَكْتافِ الشَّبابِ الصَّاعِدِين

* * *

آهِ لَوْ عُدْتَ إِلَيْنا يا صَديق
مَرَّةً نُطفِى بها نارَ الحَنين

فترى « مَنْصُورَ » يَلْهُو بَيْننا
أَزْرَقَ السِّتْرَةِ وَضَّاحَ الجَبِين
مِثْلَ عُصْفُورٍ نَما فى قَمْحِنا
ومضَى اللَّيْـلَ يُغَـنِّى لِلشُّرُوق
عُمْـرُهُ عَشْرُ سِنِينٍ لَمْ يَزَلْ
مُنْذُ أَنْ شاهَدْتَهُ أَشْـلاءَ طِفْلْ
بَيْنَ صُنْدوقٍ لِمَسْحِ الأَحْذِيَهْ
ويَدٍ ضُمَّتْ وذِكْرَى أُغْنِيَـهْ
بُعْثِرَتْ بَيْنَ تصاوِيرِ جَرِيدهْ
سَجَّلَتْ أَيَّامَنا العَشْرَ المَجِيدهْ

* * *

عادَ « مَنْصُورُ » إِلَيْنا مِنْ جَدِيد
عاد مَنْصُورُكَ آهٍ لَوْ تَعـود

لِتَرَاهُ راكباً دَرَّاجَتَه
حاملاً فى يَدِهِ كُرَّاسَتَه
وعَلَى الثَّغْرِ هُتَـافٌ ونَشِيد :
دَقَّتْ الأَجْراسُ هَيَّـا يا صَغِير
وَلْيَــكُنْ مَنْصورُ سَبَّاقَ الرِّفاق

* * *

كُلَّمَا أَيْقَظَ فَجْـرٌ بورسَعيد
جاءَ مَحْبُوبُكَ يَشْدُو لِلْجَمِيع
آهِ يا عَيْنُ لَقَدْ عادَ الرَّبِيـع
آهِ يا لَيْـلُ مَتَى الحُبُّ يَعُود ؟

الموت فى الضحى

[فى رثاء الصديق الأديب عبد العزيز
السكردانى مات منتحراً سنة ١٩٦٢]

لَمْ أَبْكِهِ لَمَّا مَضَى
ولَمْ يَكُنْ ودَاع
كان الرَّحيلُ فى الضُّحى
وحينَ غَنَّتْنِى صديقةٌ لَهُ

أُغْنيَةً في حُبِّهِ بَكَيْت
وَدِدْتُ لو يَعُودُ مرَّةً
لِيَشْهَدَ العَذابَ والضَّيَاع
في صَوْتِها المُلْتَاع
وَدِدْتُ لو يَعُودُ مرَّةً
لِقَلْبِيَ الشَّاجِي العَلِيل
فَنَلْتَقِي قَبْلَ الضُّحَى
قَبلَ الرَّحِيل

* * *

لِمَ الرَّحيلُ في الضُّحَى يا صاحبي!
وأَجْمَلُ الأَيَّامِ بَعْدُ لَمْ يَحِنْ
ولَمْ يَزَلْ يدُقُّ بَابَنَا الزَّمَنْ
بأَنْضَرِ الزُّهُورِ والأَطْفال

ويعبُرُ الإِنسانُ فَوْقَ هُوَّةِ القَدَر
لِيَجْتَلِي سِرَّ المُحال
وَيَقْهَرَ العذابَ والضَّجَر
والمَوْتَ في الضُّحَى
لِمَ الرَّحِيلُ في الضُّحَى يا صاحبي
لِمَ الرَّحِيل

* * *

يا طَائِرًا على السَّحَاب عُشُّهُ
وزَادُه في قَبْضَةِ التُّراب
بينَ الدُّخَانِ والرَّصاصِ والمِدَاد
لِمَ الرَّحيل ؟
ضَلَّ الجَناحَانِ عَلَى الطَّرِيق
أَمْ خانَكَ الصَّحْبُ يا صَدِيق

أَم أَنَّهُ الجُرْحُ الدَّفِينُ فى الفُؤاد !

* * *

الفَجْرُ مَنْشُورُ الشِّرَاع

عَلَى بُحَيْرَةِ الأُفُق

والطَّيرُ هَمَّ بالعِناقِ لِلفَضاء

يَطِيرُ مَلْوِىَّ العُنُق

إِلى المُرُوجِ والضِّياء

والوَقْتُ لَيسَ للوَدَاع

لـكنَّ طائِرى الوَدِيعَ يحترِق

تذُوبُ مُقلتاهُ فى اللَّهَب

ورِيشُهُ يَنْسَلُّ كالرَّماد

بَيْنَ الدُّخَانِ والرَّصَاصِ والمِدَاد

بِلا رَفِيق

ولا أَمَل

* * *

ولم تَزَلْ صَدِيقَتُهْ

تُذِيبُ قَلْبِيَ العَلِيلَ بالغِنَاء :

لِمَ الرَّحِيلُ فى الضُّحَى يا طائِرى

وأَجملُ الأَيَّامِ بَعْدُ لَمْ يَحِنْ

ولَمْ يَزَلْ يدُقُّ بابَنا الزَّمَن

بأَنْضَرِ الزُّهُورِ والأَطْفال

ويَعْبُرُ الإِنسانُ فَوْقَ هُوَّةِ القَدَر

لِيَجْتَلِى سِرَّ المُحَال

ويَقْهَرَ العذَابَ والضَّجَر

والمَوْتَ فى الضُّحَى

لِمَ الرَّحِيل . . !

مرثية للشاعر بدر شاكر السياب

(لماذا يُعَذِّبُنا المَوْعِدُ
وتَخْبُو عَلَى ضَفَّتَيْنا الشُّموع
ونَحْنُ نُرِيدُ النَّهار
لمــــــاذا نَمُوت ؟) [1]

* * *

(١) انفردت المقطوعة الأولى بوزن خاص دون بقية القصيدة للتدليل على المعنى الذى تعبر عنه والذى يناسبه هذا الوزن ، كما أن هذه المقطوعة هى وحدها التى صيغت على لسان الشاعر السياب وقد بدأت القصيدة واختتمت بها . واقتضى التركيز على معناها تخصيص وزن لها وتكرارها فى النهاية .

لَمْ تَسْرِ فى الأَسْمَاعِ صَيْحَتُك

وأَنْتَ تَعبُرُ السَّماءَ فوقَنا

تَنسَلُّ من قُلوبِنـــا

مُعَجِّـلاً فى رِحْلَتِـــك

لأَنَّ صَوْتَكَ الإِلَهِيَّ النَّبِيل

كان يُغَنِّى حُبَّنـــا

يَنْبِضُ فى أَنفاسِــــنا

يَأسُو جِراحاتِ صُـــدور

السَّهْمُ قد أَصابَ يا صَدِيق

وأَخْطأَ الطَّبِيب

فى صدرِكَ العَـــانِى الحَبِيب

تَخَضَّبَ السَّهْمُ الخَئُونُ وانْـكَسَر

فوقَ العِشاشِ البيضِ والزُّهُور

* * *

دارُكَ فَوْقَ النَّهْرِ ما تَزال
تَحْرُسُها عرائِسُ النَّخيل
وتَصْعَدُ النُّجُومُ والأَطْفال
على مَشارِفِ المَساء
لِتَلْتَقِي بِجَبْهَتِك
تُضِيءُ فوقَ الرِّيح .. والمَطَر
دقَّاتُهُ مُعلنةٌ عن عَوْدَتِك
تَطْرُقُ بابَ الفَجْرِ بالغِناء
لِعالَمٍ يَطِيبُ لِلرِّجال
حَدِيقةً ومَنْجماً ودار
ولا يُرَدِّدُ النَّذِير :

(واهاً لِبَغدَادَ التى لا تَثُور) (١)
تَعُودُ من مَدِينةِ الشَّمال
عَلَى جَنَاحِ طائِرٍ جَرِيح
ينفُضُ عن فُؤادِهِ الرَّهِيفِ غُرْبَةَ السَّفر
وصدْرُهُ يَغَصُّ بالدَّمِ المُراق
حُزْناً عَلَى « جيكُورَ » (٢) إذ تَنُوح
ومَرتَعُ الشَّبابِ يَنْـدَثِر

* * *

يا بُلبُلَ الضِّفافِ والقِفارِ والمَطَر
هُتافُكَ الشَّجِىُّ فى المساء يَعْبُرُ السُّفوح
يُعانِقُ الحُقُولَ والغاباتِ والقَمَر

---

(١) هذا البيت من قصيدة للسياب يصور فيها فجيعة العراق بالحكم الملكى الذى أسقطته ثورة تموز .

(٢) « جيكور » قرية صغيرة فى جنوب العراق وهى بلدة الشاعر السياب.

يَأْتِي إِلينا مُوغِلاً بين الضُّلوع
يُثيرُ مَوْجِعَ الجُــرُوح
مُحَمَّــلاً بالوَرْدِ باكِيَ الوَتَر :
(لمــاذا يُعَذِّبُنا المَوْعِـدُ
وتَخْبُو عَلَى شَفَتَيْنا الشُّموع
ونحنُ نُرِيدُ النَّهــــار
لمــــاذا نَمُوت ؟)

فهرس

فارس الأمل

المطبعة الفنية الحديثة
٢٠ شارع الشيخ بالزيتون ت ٨٦٤٨٧١